الدكتور/ عبد الستار عز الدين الراوى



الوزيرة

(يوميات جامعية)

الناشر

دار الخلود للتراث

٤٢ سوق الكتاب الجديد بالعتبة ـ القاهرة

ت: ٥٩١٩٧٢٦ - ٠١٢٣٩٢٠١٩٦

اسم الكتاب : الوزيرية
اسم المؤلف : دكتور / عبد الستار الراوي
الناشر : دار الخلود للتراث
العنوان : ٤٢ سوق الكتاب الجديد بالعتبة – القاهرة
الطبعة : الأولي ديسمبر ٢٠٠٧ م .
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية :
الترقيم الدولي :

دار الخلود للتراث

ت / ٠١٨١٦٠٧١٨٥ & ٢٥٩١٩٧٢٦ & ٢٥٠٦٩٥٨٢

E-Mail : dar_alkholoud@Yahoo.com

إلى ذكرى أصدقاء الزمن الجميل ،

الذين غادروا الحياة بلا موعدٍ أو وداع :

خالد حبيب الراوي

فالح حسن قره علي

نوري شفيق

حيدر الفضلي

ما بين الخدِّ وقوْسِ العينْ
تنمو أسئلة العقل وتاريخ العشقْ
فيجيء النصُ الهاربُ من أفق الزمنِ الفائِتِ .
.. منُسرِحاً في الظل
والضوء
والورد الجوري
واللون
فيبثُ في الروح عبير الأشواق المنسيّة ...
.. وقريضَ العشَاقِ
ورائحةَ الليلْ

الكلمة الاولى :

تبدو الحياة اليومية في السنوات الجامعية الأربع ، كما لو كانت لحظة هاربة من أفق الزمن ، لم يبق منها إلا الظلال والصدى .. وذكرى التمرد الشقيّ الذى كـان يتجـه مرة للأمام وأخرى للوراء .

.. وهي اللحظة ذاتها التى خرج منها أو عليها نصّ (الوزيرية) ، بوصفه في البـدء والمنتهى مغامرة مفتوحة على صراعات لا حـصر لهـا مـن الأفكـار والـرؤى والمغامرات تحتمها ثنائية : التصور والتصديق ، الوجود والعدم ، الريبة واليقين .

يلتئم أو يشتبك فيها الحضور والغياب ، الأنا والـ (نحن) ، الزمن وما وراءه.

تلتقي أو تفترق تجعل من عالم السنوات الأكاديمية الأربع قلقاً متأججاً ، يولج الليـل بالنهار ، والصخب بالتأملات .

– ٢ –

جنون عاقل ، أو عقل الجنون . يستوي فيه الصيف والشتاء قد يرى الحيـاة فرحـاً مستديماً . أو تبدو له حزناً مقيماً .

.. وأن الوجود الرائع ببهائه الفريد ، وهيبته الكونية المدهشة ليس إلا عبثاً موجعـاً، منغمراً بالسأم والضجر واللامعنى .. ينتهي بحفرة سقيمة باردة عند فاصلة الختـام ، فلا يعد بوسع الجملة الخبرية إلا أن تتعثر وتفقد معانيها بالرقـاد الأبـدي . فيكّـف الكون البشري عن الحركة عند قارعة السفر الأخير فلا يبقـى عندئـذ إلا فوضـى الأفكار المستحيلة بين تبرير الوجود المربح والتعليل الضنين للنهاية والمصير .

– ٣ –

حاول جيل الستينيات حيال مأساوية الواقع الموضوعي والـذاتي معـاً ، أن يجـرب "المشيَّ على الماء" و "يحلق فى فضاءات" التفاؤل الطليقة ، يحاول إلتقاط جزءاً مـن (الغد) ، فقاوم الصمت والصدأ والقنوط ، وسعى بمغامرته الشجاعة أن يشق فـضاءً حميماً إلى (مملكة الأمل)؟! مملكة الألفة والصداقة ، .. التي تمتد شمسها الحانية إلى آفاق الكوْن الإنساني كله وعندما حث خطاه كان على مقربة منها أو قاب قوسـين أو أدنى من أبوابها ، فجأة يكتشف بأن المدينة الفاضلة التي يبحث عنهـا ويتـوق إلـى مسراتها المستديمة ، لم تعد إلا (خرائب) مهجورة وغابة ممتلئـة بـالقتلى ووصـايا الشهداء الذين قضّوا على أسوارها الواهنة .

.. لم يعد بوسع جيل الستينيات منظر الحاضرة الفردوسية ، الذي مجد المـوت فـي ساحات القتال ، إلا أن يـدرك مـرة أخـرى بـأن المـصير المنـشود لا ينتهـي بـ (الردى) ولا بالسفر الأبدي .

.. بل يكمن بالانتصار على سأم الحياة وعبثية الانتهاء ، فيستعد ليشق بالعقل والنقـد والإبداع الطريق مرة أخرى لتجديد العزم صوب مدينة العرب الواحدة .

– ٤ –

تحت وطأة أهوال المغامرة ومكابدات التجربة ، آثر كاتب هذه السطور أن لا ينـأى بنفسه عن زوايا المرآة الغائبة ، وهو يقف إلى جوار أصدقائه ورفقته .
ولئن ادخرت (الوزيرية) يوميات الأعوام الأكاديمية الفلسفية على مدى أيامها ولياليها ، التي غالباً ما تتناثر أخبارها وتتباعد وقائعها في السنوات اللاحقـة عليهـا ، بـين مشاغل الحياة وهمومها اليومية فأن هذا النص الذى كاد في بعض فصوله أن يغـرق في بعض التفاصيل والجزئيات ، أو حتى المناقشات التي قد تبدو الآن فـي اللحظـة الراهنة عقيمة وساذجة . إنما أراد عامداً أن يحافظ على تلقائية الفعل ، الفكر ، الحلم في مرحلته التي وجد فيها وعّياً ، زماناً ومكاناً. لذلك لـم أشـأ إجـراء أيّ تغييّـر جوهري في بنية اليوميات ، كما لم أجد مبرراً لــ (تجميل) ما قد يبدو فـي بعـض الجزئيات ذميماً ، أو دميماً إلا في أضيق الحدود .
ومن هنا أيضاً فقد أثرت الإبقاء على الوقائع التي جرى تسجيلها في زمانها ومكانها والشئ نفسه ينصرف إلى الأسماء الواردة فهي تتحدث عن نفسها وأفكارها ويتـوالى حضورها من أول الطريق حتى آخر الكلمات. فالأصدقاء ، أدمونـد إيليـا ، عـامر النفاخ ، خالد خليل ، بدران ، عامر العزاوي ، حازم المدلل ، والصف الطويل مـن الصحبة والرفاق ، هؤلاء هم الجزء الحائر والشقي مـن جيـل الـستينيات ، جيـل (اللاأدرية ، القلق ، العدم) وهم أيضاً الجزء البهيّ من عصرٍ مفعمٍ بشجاعة الحلـم ، والإقدام على الفعل ، والصبر على مشاق الطريق .

عبد الستار الراوي

القاهرة شتاء ٢٠٠٦

١٩٦٣

١٩٦٣/١١/٢٤

ليلة الدخول إلى (الفلسفة) !
ترى ما الذي تعنيه (الحجرة الظلماء) و (القط الأسود) فقد اقترنت (الحكمة) في أحاديث المقهى بـ (التهكم) و(السخرية) وربما العبث واللاجدوى . فيما كانت في ذاكرة خالي عبود تعني : (العقل النابه) ، والارتقاء بالفكر ، وهي في رأيه أعظم ما أنتجته الحضارة الإنسانية شرقاً وغرباً ، ؟!

١١/٢٥

- ولجت اليوم بوابة الفلسفة ، تعرفت منذ اللحظة الأولى على عدد من الزملاء والزميلات أدموند جميل ، عامر عبود ، فالح قرة علي ، خالد خليل ، سهيلة أحمد ، فريال النواب ، صفاء الكاتب . إلهام روما يا .
- انتظم الدوام في عموم قسم الفلسفة باستثناء السنة الأولى لأسباب غير واضحة حتى الآن ، قيل لنا : أن رئيس القسم جعفر آل ياسين . منشغل مع مساعديه في إعداد بيانات بأسماء الطلبة ، والبرامج الدراسية ومعالجة النقص الناشئ في ملاك الأساتذة .
- المناقشات في أروقة الفلسفة فكرية وسياسية تبدو هادئة وناعمة في البدء، وبعد حين تصطخب عندما تتقاطع المواقف وتشتبك الاتجاهات فينقلب الحوار إلى سجال صاخب ، فتعلو الأصوات ، وتتوتر الأجواء ، وتحلّ الخصومة بين الطرفين فيضيع وسط هذا الضجيج (الطاس والحمام) كما يقول المثل البغدادي الذي يجري على لسان الناس في مثل هذا الموقف .

- ألقى الأستاذ حازم مشتاق الدرس الأول تحت عنـوان تمهيـد لدراسـة الفلسفة اليونانية تحدث فيه عن (بارمنيدس) بوصفه أول ميتافيزيقي فـي الغرب الذي تعلم من الحماسة الشعرية ، التي بلغت ذروتها مـع قـصيدة (في طبيعة الأشياء) ، التي استوحيت من بعض النصوص الأورفية .
فالشاعر تحمله بنات الشمس على جناح مركبة طائرة إلى أبواب النهـار والليل التي تحرسها ربة العدالة متمماً على هذا النحـو رحلـة صـوفية كشافة شبيهة من بعض الوجوه مسار الجدل الأفلاطـوني : " كـل شـئ يبقى" ، ذلك هو التوكيد النهائي لقصيدة : (في الطبيعة) التي توضع فيهـا الحقيقة وضعاً وثوقياً جازماً ، وكأنها نبوءة عرّاف ، فتتماهى مع الوجود، جميع المقولات التي تطوقها (الفلسفة الخالدة) في وحـدة مطلقـة بحكـم الاستدلال وحده.

أما العالم الطبيعي لدى بارمنيدس فهو عبارة عن صورة هندسية وواحدية وواضحة ، إذا صح أنه علم أن الأرض كروية ، وأن نجمتـي المـساء والصباح واحدة ، وبدءاً من هذا التصور للكون – الذي يبتعد منـذ ذلـك الحين عن العالم كما كان يتصوره الفلاسفة الإيونيون المتقدمون عليـه – يبدأ الصراع الدرامي بين فلسفة الوجود وفلسفة الصيرورة .
إثر الانتهاء من المحاضرة فتح الأستاذ حازم أفقاً واسعاً أمـام الأسـئلة ، فأجاب عنها بصدر رحب ولا تكاد الابتسامة تفارق شفتيه ، لنكتشف بعـد حين أنها جزء من تكوينه البايولوجي وليس (النفسي) !

ملاحظات اليوم الأول :

١- خياري في دراسة الفلسفة يبدو حتى الآن صحيحاً من خلال طبيعة النصوص ، الحوارات . الأسئلة .
٢- استطعت خلال الساعات الخمس التي أمضيتها في القسم وأروقة الكلية أن تلتقط حاستي (الشمية) ولأول مرة أكثر من خمسة أنواع من العطور مما وسع من تجربتي القاصرة على ماء الورد والياسمين والقداح والجوري .
٣- أخرجتني تجربة اليوم الأول نحو فضاءات فسيحة غنية بالأمزجة والأفكار والألوان .
٤- القادم إلى كلية الآداب ، يلج سوقاً كونياً من الأزياء والموضات والأشكال .
٥- سعدت بالتعرف على أدموند إيليا ، عامر عبود ، فالح حسن ، خالد خليل ، وقد أحسست منذ الساعة الأولى بأننا قريبون ومتوافقون تماماً في الطباع والأفكار وأن من المصادفات الجميلة أننا جميعاً نسكن في الاعظمية ، باستثناء أدمون الذي يقيم في (المنصور) .

كلية الآداب ١٤/١٢

إثر الانتهاء من محاضرة الدكتور صالح الشماع التي عرض فيها لمبادئ علم النفس ، وقبيل مغادرة القاعة ، جاءت سكرتيرة قسم الفلسفة السيدة سهيلة جواد لتقرأ أسماء طلبة السنة الأولى[١] .

---

[١] الأسماء

ادمون جميل إيليا	عامر عبود النفاخ
إلهام روما يا	عبد الستار عز الدين الراوي =
= باسل أحمد الدوري	عبد اللطيف محمود
خالد خليل الراوي	فالح حسن قرة علي

وشرحت بعض التعليمات والوصايا الخاصة بالمحاضرات الدراسية ، وجدنا حشوداً هائلة من الطلبة تسد منافذ المكتبة ، فقررنا الانصراف والعــودة في وقت لاحق .

اقترح فالح قرة على الذهاب إلى نادي الكلية واحتساء الــشاي ريثمــا يخف الزحام حتى تتسنى لنا فرصة تسلم المفردات الدراسية .

ولجنا النادي وانتظمنا حول طاولة مستديرة تلفت فــالح ذات الــشمال واليمين ثم ما لبث أن صفق بيديه وهو يحاول لفت نظر النادل ، فأومأ الأخيــر بيده اليمنى وجاء غاضباً .

ماذا تريد هكذا سأل النادل ؟! معقباً بأننا في نادي كلية الآداب ، وليس فــي – بار – أو ملهى ، فإذا كنت تطلب شيئاً ، فعليك أن تعلم بأن لي إسماً تناديني به أو تأتي بنفسك إلى (الصندوق) – لتطلب ما تشاء !

- أنا أعتذر – وأرجو أن لا تؤاخذني ، فانا في الــسنة الأولــى ، ولــم أطــأ النادي إلا هذا اليوم . والآن هل بوسعنا أن نحتسي شاياً ساخناً نقــاوم بــه برودة الجو ؟!
- حاضر وأنا أعتذر عما بدر مني ، هكذا مضت الدقائق الأولى في النــادي ، كانت ملاحظات النادل – جاسم – والاعتذار المتبادل ، موضوعاً للمناقــشة في محيط الدائرة المستديرة لاختلاف وجهات النظر بين تبريــر ورفــض أسلوب النــادل ، والــتحفظ علــى جــواب فــالح الــذي عــده الــبعض لا موجب له .

سهيلة أحمد الزهاوي
صاحب إسماعيل الوجيلي
صفاء الكاتب

فريال علي النواب
هدنة إسماعيل

قال فالح :

لا أجد غضاضة في الاعتذار من الرجل لسببين :-

<u>الأول :</u> أن القيمة الإنسانية لكل منا ينبغي أن تكون متكافئة وعادلة من حيث الحقوق الطبيعية .

<u>الثاني :</u> شعرت فور إيماءته الغاضبة بأني لم أختر الأسلوب المناسب والتصحيح وقبل هذا وذاك ، فإن حداثة سنه وطراوة عوده ، وطبيعة عمله وسط المجتمع الجامعي ، يجعل منه كائناً شديد الاعتزاز بنفسه، مما يتعين على الآخرين مراعاة حساسيته المفرطة في عالم تشكل فيه الأنثى وجوداً مستمراً في حياته وإمام عينيه ووجدانه هكذا ختم فالح كلامه ، وبهذا القول المعلل فضّ الخلاف بين الطرفين .

فيما أبدت فريال ملاحظتها قائلة :

الزميل فالح سجل نقطة بالغة الأهمية لصالح العقل واللياقة وحسن المعاملة ، في موضوع قد يعتبر هامشياً وقد يحدث كثيراً في حياتنا اليومية ، إلا انه بدا موضوعاً شديد الأهمية عندما أورد تعليلاته المنطقية عليه ، ولو أن أياً منا تعامل أو إتبع ذات الأسلوب الذي اعتمده الزميل فالح لاكتشفنا بأننا بحاجة إلى سيادة العقل والتخلي عن الانفعالات العاطفية التي لن تزيد الأمور إلا تعقيداً .

أيد الحاضرون رأي وملاحظة فريال .. ثم تشعبت الأحاديث ، حول الظروف والأسباب التي دعت كل واحد منا اختيار دراسة الفلسفة ؟!

أعجبتني صراحة صاحب الدجيلي الذي أجاب بتلقائية مباشرة .

هل احد منكم يدلني عن علاقة الفأس بالفلسفة ؟!

أنا لم أقرأ في حياتي كتابا في الفلسفة ، ولا أعرف معنى لها ، سوى ما هو شائع عنها ، كالبحث في غرفة مظلمة عن قطة سوداء ؟

أنا فلاح ابن فلاح ، ألقت بي مقادير التنسيق الجامعي بينكم ، وكأنهم يقذفوني في ذلك العالم (المظلم) ، في جحيم الفلسفة .

أنا خريج (علمي) ، كان حلمي الوحيد أن أصبح مهندساً زراعياً ، تلبية لرغبتي وتحقيقاً لذاتي ، بعد أن عشت طول حياتي بين الضرع والزرع ، وأزيدكم من الشعر بيتاً ، بأني ولدت في الحقل وامتلأت ذاكرتي برائحة السنابل وبعبق النخيل .

ترى ما الذي سأحمله معي من خبرات في الزراعة بعد حصولي على شهادة الفلسفة؟! في أية زاوية من الأرض سأضع منطق أرسطو ، وبأي اتجاه

أنثر محاضرات علم الكلام ، وهل ستضاعف الفلسفة اليونانية ، أو تزيد على الأقل من غلال الحنطة والشعير في موسم الحصاد ؟! إنني أجد أن من العبث الاستمرار في دراسة الفلسفة ، التي لا جدوى من ورائها إلا البطالة والفقر والتسكع ، وربما الهرطقة والتجديف !

وهذا ما لا أرغب فيه .

علّق خالد خليل مخاطبا صاحب بأسلوب لا يخلو من الحماسة :

" لا أريد التهوين عليك .. أنا شخصياً لا أختلف عنك ، فالضرورة وحدها مسؤولة عما آل إليه مصيري الحالي ، بعد أن حشرتني حتمية التنسيق الجامعي رغماً عن إرادتي في حجرة الفلسفة . فشعرت بالإحباط بعد أن فقدت حريتي في الاختيار ، مما جعلني مهموماً وحزيناً طوال الأسبوع الأول من الدوام ، وفكرت أكثر من مرة أن أتخلى عن الجامعة وأعود إلى دياري وأهلي في الموصل ، .. أو أبحث عن وظيفة متواضعة ، أو أتعلم الموسيقى لشغفي بها .

في بداية الأسبوع الثاني من وجودي في الحجرة المظلمة فوجئت عقب أول درس في الفلسفة اليونانية بأنني كما لو كنت أستعيد وعيّ الذى كان مغيّباً وأنا أقف على سيرة سقراط ومصيره المأساوي ، وكأني بدأت التقط جمرة السؤال عن الحقيقة !

شعرت ولأول مرة بأني في المكان الصحيح ، وبأن همومي وخياراتي كانت هزيلة وهشة وساذجة ، إزاء شجاعة العقل ومغامرة الأفكار ، بل أن المعنى المعلل لوجودي كإنسان يكمن في الإخلاص للحقيقة والتفاني من أجلها .

من أجل ذلك فأنني أجـد نفـسي الآن محظوظـاً ولـن أقبـل ببـديل عـن تحصيل(الحكمة)، ثم تّلا ذلك دور إلهام روما يا في الحديث فأثرت التعبير عـن موقفها بالآتي :-

" ..اخترت الفلسفة دونما معرفة مسبقة ، إلا التعريف التقليدي لهـا ، وهـو : حب الحكمة ، عدا هذا فإني أظن أنها تتميـز بـالعمق الفكـري والرصـانة الموضوعية عن سواها من العلوم والمعارف الأكاديمية الأخرى ، كمـا أنهـا تمنح الدارس لها موقفاً فكرياً من الحياة والكون والمصير. إّلا أن الغريب فـي الأمر هو نظرة البعض إلى الفلسفة فمثلاً صديقتي ، عندما سألتني صديقتي في أي قسم في كلية الآداب ، وما أن أجبتها حتى هتفت بما يشبه الاستنكار وهـي تتساءل بذهول : هل أنت جادة ؟!

فأجبتها : بلى ،

- فقالت : " ألا تعلمين بأن نـصف الـذين درسـوا الفلـسفة أصـيبوا بالجنون.؟! فتساءلت متهكمة : وماذا حلّ بالنصف الآخر من هؤلاء ؟!
- فأجابت : "كفار" ؟!! "

علق باسل الدوري : "ترى في أيّ النصفين سـيكون مـصيري" ؟! إذا كـان الجنون أو الهرطقة هما النتيجة الحتمية لمصيرنا الدراسي ، فالأجـدر بنـا أن نكون يقظين ، فليس أمامنا من سبيل والحالة هذه ، إلا أن نقرأ ونذاكر الفلسفة لأغراض (الامتحان) ، وليس لـدواعي الفهـم أو المعرفـة أو الاسـتيعاب ، لأن الميّل إلى الفلسفة أو حب الحكمة كما يزعمون ، سوف يوقعنا فـي شـرّ أعمالنا .

وعليه ، ولأجل تجنب الوقوع في الشرك المنصوب لنا ، يتحتم علينا التحسب منذ الآن ، فلا نقرأ إلا من أجل الامتحان ، وأن نتجنب الإطلاع على المصادر المعرفية ، ونخاصم أية قراءة لكتاب ذي صلة قريبة أو بعيدة بعلوم الحكمة .

.. فضج الجميع بالضحك !

١٢/١٧

.. يميل الدكتور كامل مصطفى الشيبي في محاضراته إلى عرض تفاصيل أية جزئية لأيّ موضوع يتناوله فى مادة (الفكر القرآني) للسنة الأولى فى قسم الفلسفة .

والشيبي منشغل بالدرس شديد الحماس لا يتوقف للحظة واحدة لالتقاط أنفاسه، فكلامه المتدفق أشبه ما يكون بسلسلة متصلة الحلقات ليس ثمة من نقطة يتوقف عندها أو فاصل ينقطع فيه الحديث : وهو أيضاً وبنفس الحرارة دائم الاهتمام بمصادر الدراسة ، فقد ملأ منذ المحاضرة الأولى اللوحة على سعتها وامتدادها بعشرات المراجع القديمة ، تختلط عنده اللغة الفصحي بالعامية المتداولة ، .. وهو لا يفتح كتاباً ، أو يقرأ نصاً مكتوباً ، ولا يستعين فى دروسه بكتاب أو دفتر كما يفعل معظم أساتذتنا ، .. ورغم أننا عانينا كثيراً فى متابعته والتقاط كلماته المتدفقة ومحاولة وتفكيك عباراته المدغمة ، طوال الأسبوعين الأولين ، إلا أننا بدأنا فى الأسبوع الثالث نكيف أسماعنا فى ملاحقة واستيعاب إيقاعاته السريعة.

وقد حاولنا لأكثر من مرة التماس الشيبي أن يخفف قليلاً من معدلات سرعته فى الكلام . لأننا لا نستطيع مجاراته ومتابعته ، ولكن الطريف فى الأمر إنه ما إن يحاول ذلك حتى يعود إلى طبيعته الأولى .

.. وقد اضطررنا فى الأسبوع الثاني من المحاضرات إلى تكليف الزميلة إلهام رومايا بمفاتحة زوجته السيدة سماحت نفطجي وهى أيضاً طالبة فى السنة الرابعة فى نفس القسم ، .. وقد أهابت إلهام بها لمفاتحة زوجها والتوسط لديه بأن طلبة السنة الأولى يجدون صعوبة بالغة فى الفهم والإحاطة بمحاضرات الشيبي بسبب سرعته فى الحديث .

قالت زوجته من جانبها : "اصبروا قليلاً ، وإن معاناتكم ستنتهي بمرور الوقت .."

.. وبالرغم من ذلك ، فإن إجماعاً بين الطلبة إنعقد على توقير هذا الأستاذ الذى وجد فيه الجميع صفات كثيرة قد لا تتوفر فى غيره من الأساتذة من حيث :

- التواضع .
- الأدب الجم .
- المودة الحميمة فى التعامل .
- الانفتاح الفكري وقبول الرأي الآخر .
- التفاعل الاجتماعي مع عام تلاميذه .
-

تم تثبيت مواد البرنامج السنوي وأسماء الأساتذة المحاضرين :

– الدكتور كامل مصطفى الشيبي	– فكر قرآني
– السيد حازم مشتاق	– فلسفة يونانية .
– الدكتور صالح الشماع	– علم النفس
– الدكتور ياسين خليل	– منطق أرسطو
– الدكتور جعفر آل ياسين	– فلسفة إسلامية
– السيد نورى حمودى القيسي	– اللغة العربية
– الأستاذ محمد توفيق حسين	– التاريخ الإسلامي
– الدكتور بدر الدين (هندي الجنسية)	– فلسفة عامة باللغة إنكليزية

١٢/٢٠

.. فى ضحى اليوم الذي بدا الطقس فيه بارداً ، التـأم جمـع مـن زميلاتنـا وزملائنا فى حديقة (الرصافي) قبالة نادي الكلية .

ألم تكن محاضرة منطق أرسطو جافة ؟! تساءل فـالح قـرة علـى ، إنبرى عامر النفاخ مدافعاً : "ولكنها أيضاً مفيـدة وضـرورية ، فـلا يمكـن لدارس الفلسفة إلا أن يلّم بهذا الضرب من المعرفة بوصفه علماً يبحـث فـى المبادئ العامة للفكر الصحيح ، ومنه الاستدلال والمفهـوم ، المـا صـدق ، النوع ، الجنس ، الفصل ، وكذلك الاستنباط والاستقراء ..

أما صعوبة وجفاف المادة فالأمر هنا يرتبط فى الدرجة الأولى ، بأننا نتلقى هذا العلم لأول مرة ، دونما خبرة سابقة ، أو معرفة أولية ، ومـن أراد

منا مواجهة معضلة التلقى واستيعاب هذا الضرب من المعرفة فعليه أن يـــدرك بأن المنطق يتطلب جهداً عقلياً كما الرياضيات إذ يقوم على الفهـــم والتمثـــل ، وليس على الحفظ كما هو الحال فى العلوم الإنسانية الأخرى ، التى تتميز بـــــ (الكم) وبطابع السرد " قال الراوي : لصعوبة التي نتحدث عنها واجهت مـــن قبل إبن سينا نفسه الذى قرأ أرسطو أربعين مرة على الأقل وحفظه عن ظهـــر قلب ولكن مغزاه ظل مستغلقاً عليه ، قبل أن يعثر على كتاب للفـــارابي يـــتكلم عن مقاصد أرسطو فأكب عليه يطالعه بنهم ، فإذا بالقضايا المهمـــة تتكـــشف أمامه بجلاء باهر .

.. والتفتت سهيلة الزهاوي إلى فالح ، وهي تحاول إثارة النقـــاش ومواصـــلة الحوار : ما رأيك أن تحدثنا عن دواعي اختيارك للفلسفة ؟!

" .. مُذ جئت الآداب وأنا أشعر بالدوار ، وكأني أقف علـــى قـــدم واحـــدة ، اختلطت على الاتجاهات فالشمال أراه جنوباً ، والشرق بدا غربـــاً. لا أعـــرف من أين أبدا ولأيّ درب أتجه كادت تضيع مني معالم الطريق ، يحدث هذا كله إثر سلسلة من الاختيارات والاهتمامات العديدة والمتنوعـــة ، بـــدأتها عقـــب تخرجي من الثانوية وقبل ثلاثة عشر عاماً ، حيث اختـــار أبّـــي أو الزمنـــي بدراسة (الصيدلة) فى بلاد الشام. أمضيت فى ربوعها ثلاث سنوات فى جامعة دمشق .

ولأسباب تراوحت بين الحب والسياسة واللا اكتراث ، أدت في نهايـــة المطاف إلى رسوبي فى الصف الثالث سنتين متتاليتين ، فأضطررت البحـــث عن جامعة أخرى ، وبلد آخر ، فكانت مصر هي المحطة التالية ، حيث أعيـــد قيدي فى كلية الصيدلة بجامعة الإسكندرية التي وجدت فيها نفسي مندفعا إلـــى الدراسة مثابراً على إنجاز متطلبات النجاح ، فانتقلت إلى السنة الرابعة فيما بدأ

التحوّل في السنة التالية ، إذا اجتذبني نوادي المدينة ومغانيها الليلية ، وحلقات الأنس الملونة .

وبدأ في حياتي تقويم أخر مفارق لتلميذ مثلي ، فلم يعد نهاري عمــلا أو معاشا أو تحصيلا علميا ، فأنا لا أعود من سهراتي الليلية إلا في الصباح ، فاستلقى على فراشي منهكاً يأخذني النوم إلى ما بعد الظهر .. وما أن أصــحو حتى تفتح (شلة الأنس) أمامي أفق ليلة أخرى نواصل فيها جولاتنـا العابثـة في ملاهي الإسكندرية ومغانيها التي لا تنام .

وعلى باب الشتاء ، قررت كلية الصيدلية اعتباري راسبا لذلك العــام بسبب غياباتي المتكررة ... ولم تشفع لدى العميد ورئيس القسم ، الالتماســات والتوسلات . واسقط في يدي ، وكان على أن انتظر تسعة أشهر لحين حلــول العام الدراسي القادم ، ...

وحاولت لمرات عديدة الكتابة إلى أبي بما جرى ولكني عــدلت عــن الاعتراف أو الإفصاح بمشكلتي ولعل إحساسي المتنامي بالأثم والذنوب تجــاه نفسي وعائلتي أوجد في داخلي تراكما كثيفاً من المرارة والخيبة والإحبــاط ، فبدأت أضيق بالمكان والزمان ، واستغرقتني الكآبة زمنـــاً ، بعــد أن أحــالني القنوط كأئناً ضائعاً (لا أدرياً) حتى أصبحت رهين حجرتـــي منعـــزلا عــن الحياة ، ومفارقاً للأصحاب ، أصبت جراء تلــك العزلـــة بمــرض (الحنــين للأوطان) ، أو لعله إحدى ذرائع الذات في إيجاد مبرر ذاتـــي للهــروب مــن مواجهة الواقع والعودة إلى العراق فرجعت إلى بغداد خائباً مدحوراً ولم يعــد بوسع والدي الموظف في السكك الحديد أن يستمر في اقتطاع جزء كبير مـــن راتبه للإنفاق عليَّ وحدي ، في مقابل متطلبات المعيشة لأسرة كبيرة.

فعرض أن يجد وظيفة لي تتناسب وشهادة الثانوية ، ولم يكن بمقدوري إلا الاستجابة لقراره والقبول باختياره . فباشرت العمل الوظيفي لأول مرة في

حياتي – معلّماً – في مدرسة أهلية باجر شهري متواضع – وكانت المدرســة – الفيلية – تقع في باب الشيخ ، غالبية الطلاب فيها من الطبقة الفقيرة ، ومــن ذوى الدخول المتواضعة وهم خليط من الباعة الجائلين والعمال ، والحــرفيين، ومعظمهم قد تجاوز العشرين ، وقد تجد بينهم من تخطي العقد الثالث والرابــع . وقد أسند إلى المدير مادتي التربية الدينية والأشياء والصحة للصفوف الثالثة والرابعة والخامسة .

.. وإلى جوار التدريس المسائي فأنني كنت بدأت أعمل ومنــذ ثــلاث سنوات موظفا في هيئة الرقابة على المطبوعات ، .. وأنا الآن بصدد الاشتغال في صيدلية .. كل هذه التفاصيل التي سردتها عليكم إنما هي جزء يسير مــن سيرة حياة مليئة بالمغامرات شبيهة برحلات السندباد متنقلاً مــن مدينــة إلــى أخرى من العراق إلى سوريا ومصر وحتى إيران التي كانت واحدة من هــذه المحطات ، فقد تاقت روحي يوماً إلى معاودة السفر والترويح عن النفس بعــد أن ادخرت بعض المال في السنتين الدراسيتين الأوليتين فــي الفيليــة ، وقــد أمضيت في ربوع طهران ما يزيد على الشهرين حاولت خلالهمــا الالتحــاق بالجامعة ، وعندما كتبت بهذه الرغبة المفاجئة لأسرتي ، رد علــيَّ أبــي رداً حازماً وهو يتوعدني رسالته الغاضبة بالويل والثبور وبأعاظم الأمــور إن لــم أعد فور قراءة سطور رسالته الغاضبة ، وبخلاف ذلك فإنه لــن يتــردد فــي إعلان براءته مني وسينشر ذلك في الصحف المحلية .

.. وهكذا ترون بأن دخولي عالم الفلسفة هو جزء من سلسلة مغامرات كثيرة تنقلت خلالها ما بين الصيدلية والتعليم والرقابــة .. وآخرهــا محاولــة دراسة الأدب الفارسي ، قد تضع الفلسفة حداً للفوضى القائمة فــي حيــاتي ، رغم إني أجدها مغامرة أخرى ، لعلي أجد الحقيقة التي أبحث عنهــا وأســعى إليها، قال الراوي : " الملاحظات الأولية بشأن دراسة الفلسفة تشير إلــى أننــا

جميعاً نتحدث عنها بعاطفة متأججة كما لو أننا نسعى إلى تحويلها إلى مشروع عالم أفضل ، ؟! يمنحنا الطمأنينة النفسية بعد أن يحررنا من شقّائنا الداخلي ، وبفضلها فقط نحقق ذاتنا ونعود إلى أنفسنا ؟ .. وهذا يعني أننا لم نزل نجهل الكثير منها ، أو حتى الغاية منها ، واعني ما يتعلق بالمنهج والرؤية. والمواقف والأفكار والنقد والأسئلة وطريقة بنائها !

١٢/٢٤

استغرقت محاضرة الدكتور ياسين خليل في مادة (المنطق الصوري) ساعتين بالتمام والكمال ، تحدث خلالهما دونما توقف ، إلا في الدقائق العشر الأخيرة التي خصصت للأسئلة .

تحدث عن أهمية المنطق في (الاستدلال) ، عن طريق تحصين العقل ضد عوامل الوقوع في خطأ التفكير وتوضيح الطريقة المناسبة التي يتعين على العقل إتباعها للوصول إلى الأحكام والنتائج الصحيحة .

وإذا كان المنطق يساعدنا على التميز بين :-

- الأسباب والنتائج .
- الوجدان والعقل .
- العلم والإيمان .
- الموضوعي والذاتي .
- اليقيني والاحتمالي .

فإن الأمر المهم الآخر هو تحويل الموقف من حالة الإلزام أو الفرض القسري إلى حالة الحوار بالفكر والبيانات والحجة المنطقية لأن الحقيقة لا

تؤخذ بالقوة ولا بالغلبة الجسدية ، ولأن الحقيقة أكبر من أن يدركها عقل واحد ، أو يحتكرها إنسان لنفسه .

لذلك فإن المنطق يدرب العقل على النظرة الكلية الشاملة ، مثلما يساعده على تنظيم وصياغة الأفكار بصورة واضحة ومتسقة .

.. في ختام المحاضرة استوضح الدكتور ياسين قائلا :

" هل ترون صعوبة في فهم المحاضرة أم أن أحدا منكم يريد أن أعيد شرحها مرة أخرى " ؟!

رفعت يدي ، إذ رجوت الأستاذ أن يعيد شرح موضوع " الاستدلال " !

فأجاب: " .. لاحظوا أن الاستدلال هو الموضوع الأساسي لعلم المنطق . بوصفه عملية عقلية ينتقل فيها من المعلوم إلى المجهول ولاحظوا أيضاً :

المعلوم في الاستدلال هو مقدمة أو أكثر نسلم بها .

المجهول هو النتيجة التي تلزم عن هذه المقدمة .

فالاستدلال يتكون من ثلاثة عناصر هي :

١- مقدمة أو أكثر .

٢- نتيجة لازمة عن المقدمة أو المقدمات .

٣- علاقة منطقية بين المقدمة أو المقدمات والنتيجة .

أما هدف الاستدلال فهو توصيل الحقيقة إلى السامع أو القارئ وإقناعه بها مع مراعاة الدقة في اختيار الألفاظ منعاً لسوء الفهم وإن كل أحكامنا ونتائجنا هي نتيجة استدلال إما مباشر أو غير مباشر .

الاستدلال المباشر يعتمد على مقدمة واحدة ، مثال : إذا سلّمنا بأن كل الطلبة ناجحون فأننا نستدل من هذه المقدمة على أن بعض الطلبة ناجحين ، وهذا الضرب من الاستدلال لا يحتاج إلى واسطة .

أما الاستدلال غير المباشر فإنه يعتمد على أكثر من مقدمة .

مثال : إذا سلمنا بان كل الطلبة ناجحين ناجحين وسلمنا بأن فالح طالب ، فإننا نستدل من تلك المقدمتين أن فالح ناجح .
وهذا الاستدلال يحتاج إلى واسطة تربط بين مقدماته .

١٢/٣١

سلمت أدموند بطاقة تهنئة لمناسبة رأس السنة الميلادية كتبت فيها :

" **العزيز أدموند .**

عام جديد آخر

تهنئة من القلب . بهذا العام وكل عام مع خالص المودة ".

.. همس أدموند في أذني بأذني وأربعة من الزملاء هم فالح ، عامر ، خالد ، بدران مدعوون في دارهم للاحتفاء بعيد رأس السنة مساء هذا اليوم .

.. في الثامنة مساء اصطحبنا أبو سامح(*) من محطة باص المصلحة قبالة جامع (حيّ دراغ) بدا الطقس ونحن نقطع طرقات مدينة المنصور شديد البرودة عاصفاً .

.. دخلنا الدار في حوالي الثامنة والنصف .

قادنا أدموند إلى غرفة جانبية أعدت للضيوف ، وقدم لنا أقداح صغيرة قال إنه " الزنزانو " شراب أو نبيذ أحمر قان ، لم يجربه أحد منا من قبل .

دخلت علينا السيدة الوالدة باشةً ، وهي ترحب بنا ، وكان برفقتها السيد ماكي الأب الروحي لأدموند ، الذي سلم علينا بحرارة ، .. ولم يمضِ

(*) كنية أدموند .

وقت طويل حتى ألفنا الدار وأهله ، فقد أحاطنا الجميع بحفاوة بالغة ، آنيــت ، وليم ، إدوارد ، وسونيا (**)

كان وليم الشقيق الأوسط ودوداً ومرحاً لا يكف عــن إلقــاء النــوادر و(النكات)! .. وبعد أن جرى التعارف على العائلة ، أشــار أدمونــد إلــى أن سهرتنا جرى الإعداد لها في الطابق الأعلى على نحو مــستقل فــي حجرتــه الخاصة ، اجتمعنا حول مائدة باذخة بأنواع الطعام والشراب والطيبات .

ما أن رشف بدران الرشفة الأولى حتى نهض منشداً وراقــصاً علــى إيقاع أغنية لبنانية شائعة ، فيما قال خالد خليــل : " لــم تحــن بعــد لحظــة الوصول " ؟!

.. وبعد الكأس الثانية ، انسلّ صوت فالح من حنايا قلبه دافئاً ، حنوناً ، شــجياً ، وهو يدندن . شعراً:

" **كنت أسُقى وأغنى ،**

صرت أسقي وأغني "

.. في هذه اللحظة فقط وللمرة الأولى اكتشفنا جمالية صــوت فــالح وعذوبــة غنائه ، وموهبته بالمقام البغدادي .. بنفس القدر كان مرحه المحبب قــد مــلأ نفوسنا بالبهجة والمسرات وهو يلقي على أسماعنا الطرف والنوادر ..

.. وتوالت الكؤوس والأقداح ، .. حتى دبّ دبيبها ، فانطلقت الألــسن تبــوح بأسرار الصدور والقلوب .

وقبيل أن ينتصف الليل رفع أدموند قدحاً من عصير البرتقال " ليشرب الجميع نخب الحب الذي طرق باب قلبه .. ولم يشأ ذكر اسم حبيبته ، وإنمــا اكتفــى بالقول ، إن الحرف الأول منه ، هو أول الأبجدية في لغات كل الأرض .

(**) أشقاء وشقيقاته .

..فيما أطلق عامر زفرة طويلة ، وكأنه يحاول إزاحة هم ثقيـل يجـثم علـى صدره،..

" .. لا أدري ما العمل بعد أن تعاهدنا هي وإنا على الإخلاص الأبدي .. "

هكذا بدأ عامر جملته الرومانسية المتفجرة ، وهو يطوف بالأمكنة التي التقـى فيها – صفاء – تلك الفتاة التي أختطف حبها قلبه منذ اللحظة الأولى .

.. أفلق فالح من غفوة مفاجئة وهو يغني منشداً :

نقل فؤادك حيث شـــــئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول

كـــــم منــزل في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبداً لأول منــزل

قال الراوي : " ..هذه هي كارثة أو بلوى الحب الأول ، الـذي يـسرى فـي أوصال الروح ، لا ينفك عنها مقيما فيها لا ينحـل ولا يـضمحل ولا يـصيبه موت أو زوال ..

قال وليم :

" من أين جئت بهذا الرأي " ؟!

" التأريخ حدثنا بشواهد لا حصر لها عـن أسـقام الحـب الأول ولأن الواقع يؤكد ذلك ، ولأنني أيضاً أصبت بذات الداء الذي أصـيب بـه الـسيد النفاخ " ؟!

المنصور في الثانية صباحاً وتحت مطر الليل ، تتقاذفنا الرياح الباردة ، أطلقنا أقدامنا نغذ السير صوب محطة الحافلات ، وانتظرنا دونما جدوى ، وحاولنـا أن نتناسى لسعات البرد ، وزمن الانتظـار ، فآثرنـا أنْ نقطـع أمـاد الليـل بالحديث عن انطباعاتنا التي تركتها فينا السهرة الفريدة ..

.. لكن الشئ المؤكد بأن هذه الليلة وثقت لدي كل واحد منا نحن الـستة فـالح أدموند، عامر ، خالد ، بدران وأنا ، معنى جديدا للألفة والصداقة وكأننا وجدنا لنكون معاً على الدوام وإلى الأبد ... فثمة صوت داخلي يؤكد أن جذباً متبادلاً

بين هؤلاء الأنداد قد يكون (حدساً) ، (لمحة) ، (إشارة) يليها فيض من مشاعر حميمية ، لا يمكن أن تجد لها توصيفاً بديلاً إلا بكلمة واحدة هي (الصداقة) .

١٩٦٤

١/٢

برنامج اليوم كان حافلا بأربع محاضرات فلسفة يونانيــة ، منطــق . فكر قرآني . فلسفة إسلامية أعاد الأستاذ حازم مشتاق حديثــه عــن البــدايات الأولي لنشأة الفلسفة عبر واحد من بين أعظم مصادرها المعرفيــة ، إذ ســبق الشرق القديم اليونان في إقامة حضارة تجمع بين علــم عملــي يقــوم علــى المشاهدة والتجربة إلى جوار تأملات دينية تستند إلى نظر عقلي .

.. وبالرغم من أن حديث الأستاذ عن أهمية حكمة الشرق ومساهمات شعوبه الحضارية في وادي الرافدين ووادي النيل ، إلا إنه يرى أيــضاً بــأن الإغريق هم الرواد الأوائل لهذا الضرب من المعرفة منذ القــرن الــسادس و حتى الرابع قبل الميلاد وقد بلغت الفلسفة اليونانية نضجها علــى يــد ســقراط وأفلاطون وأرسطو . وكان هدف هؤلاء هو الكشف عــن الحقيقــة بواســطة النظر العقلي الخالص بدافع متعة البحث النظــري وحــده ، ولــيس لإشــباع متطلبات الحياة اليومية .

.. الأستاذ حازم الذي يبالغ كثيراً فــي أناقتــه ، التــي يفــضل فيهــا (اللون الأسود) على ما عداه من الألوان حتى تحــسبة مــدعواً إلــى حفلــة ساهرة،

.. له أسلوب مميز في إلقاء محاضرته ، يجذب المتلقــي إليــه ، وغالبــا مــا يعرض أثناء حديثه الشواهد والأمثال ، ويلجأ إلى الهوامش ووالتعليقــات ممــا يضفي على أجواء المحاضرة ألوانا ثقافية تتراوح بــين الــشعر والقــصص ، والتجارب الحياتية المعاشة . ومع ذلك فهو حريص على كتابة المــصطلحات الفلسفية باللغة اليونانية .

وعلى الرغم من روحه المتقدة بالحيوية والشباب . إلا أنه أيضا شديد الاعتزاز بنفسه إلى الحدّ الأقصى ، فتراه نزقاً متمسكاً برأيه . وتخفي ابتسامته التـي لا تكاد تنحسر عن قسمات وجهه مزاجاً عصبياً شديد الاهتياج أحياناً .

.. كل هذه الانطباعات والتحليلات وردت على ألّسنة طلبة السنة الأولى في نادي الكلية ظهيرة هذا اليوم .

- قالت فريال النواب ، وهي توجه كلامها للزميلات والزملاء ، ترى هل تمني أحدكم شيئاً في خاتمة العام الماضي وهو يطل على سنة جديدة ؟ !

ولنبدأ بأدموند .

" .. لا أظن أن أمنيتي الشخصية مهما بدت خصوصيتها تختلف كثيرا عن أمنيات ستار وعامر وفالح .. كلنا نحلم بالغد ، بالتفوق الدراسي ، وأن يجد كل منا إنسانة تحبه " أو تكون قريبة من قلبه وتقدر مشاعره !

علقت سهيلة بصوت خفيض :

" لا تريد المرأة أكثر من أن تجد من يقدرها ويعمل على إسعادها .." ؟!

علّق الراوى : " المرأة حاضرة في وجدان الرجل ، منذ أبينا (آدم) الذي علمنا الدرس الأول في التوق ، والقرب والحب ، وبهذا الأسلوب المدهش إلتقطّ الرجلُ الأول خيط الوصل .. حتى ظفر بالفوز ..

وكسب ودّ السيدة الأولى (حواء) . ولجّا الجنة وطافا في الفردوس معاً وارتويّا ماءً عذباً من تلك الأنهار الجارية بالغبطة أبدا .. إرتشف الاثنان لذاّت الوصل ، وبهجات الغيبوبه ..

.. ما بين عيون الخمرة واللبن الرائق .. وعسلّ العينين الدافئتين .. قطفا كل ثمرات الجنة.. إلا واحدة منها ..

عزف أدم عنها في البدء ..
لكنّ الحبّ المتقدَّ في العينين النجلاوين .
.. شبَّ سعيراً في قلب أبينا ، هزّ بيديه الشجرة ..
.. فالتقط الثمرة ..
حتى هبط من علياء الجنة من أجل السيدة الأولى .

السبت ٤/١

- رسالة من إبراهيم البدري مفعمة بالأشواق ، من الاتحاد السوفيتي حيث يواصل دراسته في (باكو) يشير فيها إلى إتقانه اللغة الروسية، وإلى عزمه الاقتران بزميلة له ، تشاركه مشاعره واهتماماته ، ولعل الغربة الطويلة تعد سببا كافيا لأن تدفع إبراهيم إلى خوض مثل هذه التجربة العاطفية التي قد تعوضه عن الدفء العائلي الذي يفتقده في تلك البلاد الباردة !

.. إستذكرت وأنا أقرأ سطوره مرة تلو أخرى ، أيامنا معاً متجاورين في محلة (القشل) ، في عقديْ الخمسينات والستينات ، لم نفترق يوماً ، ولم يغضب أحدنا من الآخر أو يضيق بأفكاره ، رغم المساجلات السياسية الملتهبة التي كانت تجري بيننا في مقهى القرغولي ، فالاختلاف الأيديولوجي لم يفسد للود قضية بيننا ، فكان ماركسياً مستنيراً وظل قابضاً على عقيدته .. فيما لم أتنازل من جهتي عن الفكر القومي وعن إيماني بالوحدة العربية وضرورة النضال من أجل تحقيقها بقيادة جمال عبد الناصر .. وكثيراً ما كان ينتهي الجدل الدائر بيننا إلى طريق موصد .. فنغادر المقهى معاً ، ليقول كل منا لصاحبه ، إلى اللقاء غداً .. لنستأنف حوارنا مرة أخرى !

الأربعاء ١/٨

بتشجيع من أدموند ، جربت العودة إلى كرة السلة التي لم أقربها منذ أيام متوسطة الملك فيصل الثاني وطبقاً لأستاذ الرياضة بهنام باسليوس ، فأنه يرى بأنني وبشئ من المران والتدريب سأكون عضواً لائقاً ضمن فريق قسم الفلسفة .

الخميس ١/٩

في أروقة الكلية والنادي والأقسام ومنذ أيام تجري مساجلات فكرية صاخبة بين اتجاهات أيديولوجية عديدة بين أنصار الماركسية والقومية ولكنها أخف وطأة من السنوات الماضية إذ بوسع أي منا أن يختلف مع الآخر الآن دون أن يصاب بأذى .. فيما تحتفظ العاطفة العراقية بانفعالاتها الحارة التي لم تتخلّ عنها طوال السنوات الماضية وقد تكاد تصل في بعض الأحيان إلى اشتباك بالأصوات يشبه إلى حد كبير صراع الديّكة .

.. في الثانية بعد الظهر دخلت المكتبة ، وبدأت قراءة ديوان أغاني مهيار الدمشقي " !

أدونيس في قصائده يشّيد لغة أو قُلْ عمارة بلاغية خاصة به ، خصبة ، موحية ، مزدحمة بالدهشة والإشارات ، فيما يشيع الطابع الرمزي في أشعاره كلها .

الجمعة ١٠/١

نزلت الكرخ في الضحى ،

وفي مقهى (أبي القاسم) التقيت نوري شفيق أومأ بيده صوب شريعة النواب ، قائلاً : " .. كنا يوما هناك في عوالمنا الأولى لا نعرف معنى الاكتراث . كل ما يشغل طفولتنا إهتمامات بريئة اللعب ،حكايات قمر الكرخ ، معاركنا الصغيرة عند أسوار مستشفى (العزل) وكانت الحرية هي التوق الطليق نحو خيارات مفتوحة على الشط ، طيارة الورق والركض وراء النجمة المتلألئة .. والهتاف والغناء متى شئنا .

إن تقريظ أيام (الفحامة) ، واستذكار مآثرها الباذخة لن ينتهي .

أنظر الآن : لقد تجاوزنا العشرين ولم ننجز شيئا ذا أهمية حتى الآن !

قلت : ماذا يدور في رأسك يا أبا النور ؟!

قال : " الذي أعنيه يا صديقي ، بأننا تائهون ، نبحث عبثاً عن معنى لوجودنا وكأننا ندور حول أنفسنا ، لا ندري إلى أين ، ومتى نتوقف عن هذا الدوران الأعمى ؟!

أخشى أن يأكلنا الانتظار العقيم ، وتفوتنا اللحظات الحقيقية . ونحن عاجزون عن اللحاق بواحدة منها ، إذ قد تذوي أعمارنا ، عاماً إثر عام ، ونحن (مكانك سر) !

تلك هي مقولات نوري شفيق مُذْ كنا أطفالاً نلعب عند دار المختار أيام الركض الحر في الطرقات ، ... ويفلسفها . ويكترث بها ، ومنذ أن نشأنا وكبرنا معاً لم يتوقف عقله أو يكف عن إلقاء الأسئلة ، وهي همومه ذاتها التي كان يشتبك بها مع نفسه في معتقل (خلف السدة) ربيع ١٩٥٩ على امتداد الليالي التي أمضيناها سويةً ، في ذلك المكان البغيض والذي لم يكن في رأيه

سيئاً إلى هذا الحد ، إلا من خارج (الظاهرة) ، التي تؤكد قشرتها الخارجية بأننا مقيدون في حرية حركتنا حتى العظم ، ولكنه يتساءل : " أين سأجد مثل هذه الحرية الداخلية ؟! أتمنى أن أمضي الربيع والصيف وبقية الفصول في رحبات هذا المستطيل المغلق وإلا أين وفي أي الأمكنة سأحظى بمثل هذه الأجواء الطليقة ، التي تعيينني على الاختلاء بنفسي ، وتمنحني فرصة الإقتراب من ذاتي ، وكأني أتعرف عليها لأول مرة ! هناك العالم (الخارجي) بانشغالاته اليومية الوضيعة التي تتآكل فيها العقول والأفكار ، عبر

الرتابة القاتلة ، الدفاتر المدرسية ، الدوام اللعين فالسجن أرحم حالاً من العودة إلى عاداتنا الطقسية المملة ، وجبات الطعام وأوقات النوم ، والإحساس المضني بالضياع في الطرقات الموحشة (*) ... لكن الشئ الوحيد الذي أفتقده الآن وعلى الدوام هو الاكسير (الأبيض) واعني به تحديداً (حليب السباع) (**) المفترى عليه ، لأنه نقيض القوة المتوحشة بل هو (الوداعة) بأعلى معانيها ، .. هذا هو منطق (الدهماء) ، المولع بقلب المفاهيم واستبدال الصفات بأضدادها ، وهي عبقرية (العقل) الشعبي ، الذي يضيق هو الآخر بالبديهيات المتداولة .

(*) عبد الستار الراوي : حديقة الرماد ، يوميات ، ١٩٥٩ ، مخطوط .

(**) كناية لمشروب محلي .

الخميس ٦/٢

أنهيت اليوم امتحانات نصف السنة . وأخرها كانـت مـادة التـاريخ الإسلامي للأستاذ محمد توفيق حسين لم أبرح البيت ، أمـضيت الليـل فـي غرفتي ، وأنا أستمع إلى أم كلثوم في حفلها الشهري عبر إذاعة القاهرة .

من أغانيها الجديدة (أنت عمري) ، انطباعاتي الأولية المباشـرة هـو الطرب الباذخ الذي يشيع في الأغنية والشبيه بالرقص الإيقاعي ، فلـم تعتـد سيدة الغناء العربي أن تقدم على مثل هذا اللون من الجمل الموسيقية . تُـرى هل هو محاولة متعمدة لأن يترك الموسيقار محمد عبد الوهاب هويته اللحنيـة على الصوت العريق بهذا الشكل الاستطرحني غير المعهود ؟!

.. لم أستطع مغالبة النعاس ، فخلدت إلى النوم ، وفاتنى الاستماع إلى الأغاني الأخرى .

الجمعة ٧/٢

.. في قراءتي المتعثرة لماركس التي لم تؤت أكلها بعد وأنـا أحـاول التغلب على بعض المقولات الغامضة ، مُنذ كتاباته الأولى (الـدفاتر التـسعة) حتى السوط النقدي (بؤس الفلسفة) الذى ألهب بـه (بـرودون) فـي (فلـسفة البؤس)، الذى حاول فيه تفويض الوثوقيات كافة مَبْلّياً. محذراً في الوقت نفـسه من السعي إلى (مذهبة) الشعب. وطبقاً لشهادة صديقه ورفيق نـضاله[*] "فـأن

---

[*] فريدريك انجليز(١٨٢٠-١٨٩٥)الذي عنّي حتى اكثر من ماركس،ببيان القيمة الكلية للمادية الجدلية،من حيث هي منهج للفكر في النقد والبناء في آن واحد.

ماركس اكتشف قانون تطور التأريخ الإنساني ، كما أن داورين اكتشف قانون تطور الطبيعة العضوية . " !

السبت ٢/٨

.. مساء ضمنا مقهى العروبة (شارع عشرين – الأعظمية) أدموند وعامر وأنا .. تحدثنا عن الامتحانات ، وعن برنامج العطلة الربيعية .

.. ألح علينا عامر أن نمضي ثلاثة أيام في الكوفة في ضيافة أبيه ، وأنها فرصة للتعرف على المدينة والاستمتاع بمرابعها وبساتينها، فضلا عن حاجتنا إلى تغيير الأجواء لنريح أنفسنا قليلاً من عناء الأيام الماضية .

.. اقترحت أن نقف على رأي فالح الذي بوجوده يصبح للسفرة الترويحية معنى إضافي لها .

الجمعة ١٩٦٤/٢/٢١

.. مررت بسوق السراي باحثاً عن (جاك لندن) ، لم أعثر عليه .

.. عبرت جسر الشهداء .

التقيت الصديق حيدر الفضلي ،

وأمضيت حوالي الساعتين في مقهى (النادي) بالمشاهدة بصحبة عبد الرحمن علي خميس ..

وتمشينا معاً في أزقة (الفحامة)، وألقيت السلام على (دربونة زنكو). واتسع الوقت للمرور على نوري شفيق وطارق غرام .

مساء إلى قاعة الخلد . شاهدت عرضاً سينمائياً " .. **في بيتنا رجل** " ! قصة إحسان عبد القدوس ، التي سبق أن قرأتها لأول مرة في معتقـل خلـف السدة في آذار ١٩٥٩ .

الاثنين ٢/٢٤

محاضرة الصباح الأولى : منطق أرسطو ، بدا على الدكتور ياسين خليـل على غير عادته ، قدراً كبيراً من المرح ، مما لم نعهده فيه قبل اليوم قال فالح ".. أعرف الدكتور ياسين منـذ أيـام الطفولـة ، كنـا نلعـب سـوية فـي (محلة الفضل) ، وتزاملنا معاً لـسنوات طويلـة فـي المدرسـة الابتدائيـة والمتوسطة، ولم يظهر عليه مثل هذا المرح العجيب ، فقد كان طـوال حياتـه حازماً ومتجهماً . لا يخالط أحداً ، ولا يشارك أترابه في لعب أو لهـو ، فهـو جاد للغاية وأينما لقيته وفي أي وقت فلابد أن يكون بحوزته كتـاب يحملـه أو يقرأ فيه . وكان في المدرسة لامعاً ونابهاً وذكياً .

تناولنا في محاضرة اليوم قوانين الفكر الأرسطية وهي :

١- قانون الهوية أو (الذاتية)

ورمزه : (أهوأ) ينص على (الشئ هو نفسه).

الأمثلة :

الإنسان هو الإنسان ،

الحصان هو الحصان ،

الشجرة هي الشجرة ،

ويرى أرسطو : أن قانون الهوية هو أساس التفكير المنطقي لأنه يشير إلى ضرورة التقيد بذاتية مدلول اللفظ الذي نستخدمه فلا نخلـط بـين الـشئ

وما عداه ، ولا نضيف للشئ ما ليس فيه ، وعلى ذلك فهو يؤكـــد وجـــود علاقة مساواة بين طرفين

والشئ المهم هنا ، هو أن مخالفة قانون الذاتية يوقعنا فـــي التنـــاقض ويؤدي إلى فساد الاستدلال ، وأن هذا القـــانون حـــسب أرســـطو يجـــب استخدامه في كل حياتنا اليومية فلكي نفهم بعضنا يجب أن نتحـــدث بلغـــة واحدة لا يحتمل أي لفظ من ألفاظها أكثر من معنى .

٢- قانون عدم التناقض :

ينص على الشئ لا يمكن وصفه بصفة ونقيض الصفة في ذات الوقت

مثال : لا يمكن وصف السيارة بأنها سريعة وغير سريعة في وقت واحد .

رمزه : " والشئ لا يمكن أن يكون أو لا يكون في وقت واحد "

٣- قانون الوسط المرفوع أو الثالث الممتنع :

ينص على الشئ إما أن يوصف أو بنقيض الصفة .

مثال : الشجرة إما أن تكون مثمرة أو غير مثمرة .

رمزه : " الشئ إما أن يكون (أ – أوْ – لا أ) .

الجمعة ٢/٢٨

.. تجولت عصر اليوم في منطقة (راس الحواش) .. ثم دلفت إلـــى حديقة النعمان ، واخترت أريكة جوار بابها ، لم أمكث طويلاً بسبب انخفـــاض درجة الحرارة .. واتجهت إلى مقهى العروبة ، وإذ بزميل الدراسة الابتدائيـــة في الجعفرية خليل إبراهيم الحواري ، يقف في محطة انتظار الحافلات بالقرب من سينما الأعظمية صافحني بحرارة ، وضمني إلى صدره وهـــو يـــردد " ..

أنت ستار لم تتغير الوجه والقامة ، والخطوات الوئيدة .. سبع سنوات لم نلتــق خلالها ..

لم يكف عن إلقاء الأسئلة :

أين أنت الآن ؟!

هل أنت موظف ؟!

هل اخترت شريكة حياتك ؟!

أين تسكن ؟!

أسئلة عجولة متلاحقة !

إلى أين تمضي الآن ؟!

قلت : في طريقي إلى المقهى .

قال : هل وراءك موعد ينتظرك ؟ أجبت : لا

قال : إذن هذه فرصة سانحة لأن ترافقني إلى (بوفية السويس)

لم يتغير خليل كثيراً عن أيــام الابتدائيــة .. لا يــزال فتــى حالمــاً رومانسياً ، يحتفظ بأمنيته حتى اليوم في أن يصبح نجماً سينمائياً مــشهوراً .. ذلك ظل مواظباً على أناقته وهو يرتدي بدلة (سموكن) وقد اســتبدل ربطــة العنق بفراشه (البابيون) ، اعتقاداً منه بأن الخطوة الأولى إلى عــالم الفنــي هي : حسن الهندام ووجاهة المنظــر واتــساق الألــوان و(الحــذاء) المــشع (اللامع) ؟!

.. حدثني عن حياته ومعاناته وعن رحيل أبويــه ، وعــن التزاماتــه الاجتماعية تجاه شقيقاته .. وأنه جرب الزواج مرة وأخفق فــي بنــاء أســرة سعيدة ، .. وهو الآن يعيش قصة حب عاصفة قد تفضي به إما إلــى الجنــون أو الاقتران المستديم .

أحسست بان الحواري وهو يحدثني محاصر بالوحدة وبالضياع ، فقد كان صوته حزيناً يشبه الانين .. إستذكرنا معاً سنوات الصبا في شارع الملك فيصل الثاني ، برفقة صديقنا ضياء إسماعيل الخناق ، حيث كان الإثنان يقيمان في (دربونة البستان) قبالة (حمام التميمي) .. وتحدثنا عن لحظات العمر المنسّية : ، في تلك الأيام (خمسينيات) القرن العشرين ، كنا نحن الثلاثة فتياناً في عمر الورد .. نرقب عند بادئة الصبح ، ريمات (المنصور) ، كواعبَ غيدٍ جئنَ من جنّاتِ المأوى ، وتراتيل الشوقِ . الآهُ تتلوها آه أخرى ، تنبعثُ من قلبِ العاشقِ أو تنفذ من تلك العين تنسلّ يطويها تحت الهدبين السيفين خفّرُ ، ثمةَ يطلقها التوُق المجنونُ إيماءاتٍ بين العينِ والعينِ تسلُ كالومضِ تغشى الأبصارَ. والغيدُ يتهامسّن بوْحاً أو سراً يبسمن بنصف الثغرِ ونصف العينْ .

يرفلن بثيابِ دمِقسٍ وعباءاتِ حريرْ ، يتهادّين برفقٍ كحمام (الحضرات)] (*) . .. وفي العاشرة مساء افترقنا

السبت ٢/٢٩

سنة كبيسة !

قبيل المباشرة بدرس (علم العروض) الأسبوعي عرضت قصيدة (شجر الكافور) التي أنشأتها في الليلة الماضية على الزميل محمد طالب محمد، فأبدى استحسانه على موضوعها وبنائها ، ونبه إلى ملاحظة عروضية تتعلق بتداخل الرمل والكامل في المقطع الأخير منها وفي رأيه أن بعض النقاد المعاصرين يجوزون ذلك في شعر التفعيلة .

(*) عبد الستار الراوي ، أصابع العروس ، ص٨ ، بغداد ٢٠٠١ .

.. وقد تعرفت على محمد منذ اليوم الأول لدوامي في الآداب ، جذبني إليه صوته الشعري العذب ، وروحه الدافئة ، ورقة مشاعره " كتب الـشعر وهـو تلميذ في الخامس الابتدائي ، ينحدر من أسرة (البوسطجي) في البصرة وهو في السنة الأولى في قسم اللغة العربية . وتعهد منذ البدايـة أن يعلمنـي علـم العروض ، بواقع ساعة في الأسبوع ، عقب الانتهاء من الدوام اليـومي فـي مقهى (قادر شلق) في باب المعظم قبالة مبنى موسيقى الجيش ، حيث أهداني كتاب " ميزان الذهب " للشاعر الرصافي الذي يُعنى ببحور الشعر وأوزانـه . وقد درست على يديه حتى الآن من البحـور (الرجـز ، الرمـل ، الكامـل ، المتقارب) .

الاثنين ٣/٢

.. تفرغت ظهرا اليوم في مكتبة الكلية للبحث عن بعض المراجـع المـسيحية وفي مقدمتها دراسات حول الكتاب المقدس (العهد الجديد) ، لإعداد تقرير في مادة الفكر القرآني ، تحت عنوان " حياة السيد المسيح " بإشراف الدكتور كامل الشيبي .

.. لعلها واحدة من بين الفرص المتاحة ، أن أختار موضوعاً ، يتـيح لي الوقوف على حياة السيد المسيح المفعمة بالمجد والأحزان ، ويوفر أمـامي أيضاً فرصة الإطلاع المباشر على نصوص الأناجيل الأربعة وكان أول لقـاء لي مع المسيحية منذ عام ١٩٥٩ عندما أهداني زميلي (سمير هرمـز) فـي متوسطة فيصل العهدين القديم والجديد ، وكانت قراءاتي لهما ، قراءة عامـة . واعتقد أنه حان الوقت لأن أدرس هذه النصوص دراسة جادة في محاولة لفهم

موضوعي ، يسهم في تنمية ثقافتي الذاتية في موضوعة الدين المسيحي التـــي أشعر أنني بأمس الحاجة إليها في دراستي الراهنة للفلسفة .

الخميس ٣/٥ – رحلة إلى سامراء (*)

كما لو أننا أطفالاً لم نكبر بعد ، ونحن نعدو نمرح ، نــضحك ، نتـــدحرج على العشب ، ندور حول ظلالنا ، نتراكض عند ضفاف الثرثار . تجولنا بـــين أطلال مدينة (المعتصم) ، ارتقينا بحذر طبقات منارة الملوية إلى المنتهـــى ، وطفنا حول مرقديّ الأمام علي الهادي وولده الحـــسن العـــسكري ، والـــتقط البعض صوراً تذكارية بين (قصر العاشق) .

أدموند آثر البقاء في بغداد ، اغتنم الوقت ليبث محبوبته الهوى .

.. أما السيد النفاخ فقد غنى لوحده مذكراً العالم بأننا موجودون فـــي هـــذه البقعة التاريخية . أو لعله يبعث بأغانيه من بين أروقة (قصر العاشق) إلـــى تلك المرأة التي شغف بها حباً في المنازل البعيدة ، على امتداد الطريق الـــذي يبدأ من هنا وينتهي بأم الربيعين .

التقط حجراً صغيراً من الأرض حفر إخدوداً كما الجرح الغائر على جدار الملوية ، كان الحرف الأول من اسم الحبيبة الغائبة ينتصب كالرمح ، ونقـــش تأريخ اللحظة الدافئة بالدعاء والأمنيات .

(*) مدينة تقع على الضفة اليسرى من نهر دجلة وعلى بعد حوالي مائة وعشرين كيلو متراً شمالي بغـــداد ، أنشئت في زمن المعتصم وبلغت أقصى اتساعها ومجدها في عهد المتوكل ، كانت مقراً للخلافـــة العباســـية (٨٣٦ – ٨٧٦ هـــ) .

ذكرني موقف عامر ، بزميل لنا يُدعى : (مليح) تملكته في صـــباه عـــادة حفر اسم حبيبته على مقاعد حافلات مصلحة نقل الركاب ذات الطابقين ، وقــد ذاع اسم الحبيبة بين الركاب في العاصمة لسنوات طويلة .

السبت ٣/٧

في أول الصباح

تفجرت عاصفة هوجاء محملة بتراب أصفر كمـــا الزعفـــران كـــاد جنونها المريع أن يقتلع الشجر والأرصفة ويهز الدنيا ، لذت بذروة أحتمي فيها من صخب الريح وأنا انتظر الحافلة وما أن أطلت حتى هرولت وقذفت نفـــسي على أول أريكة فيها ،

.. قبل بدء المحاضرة الأولى ، رأيتُ إلهام رومايـــا وكأنهـــا تحـــادث نفسها باستياء شديد متبرمة من محنة الطقس الوحشيّ ، الذي اتلف (التسريحة) وجعل شعرها في حالة من الفوضى (منكوشاً) .. حتى بدت وكأنها خرجـــت من معركة حامية ، فالشعر المتطاير واختلاط الألوان ، وطبقة التـــراب التـــي أضفت على الوجوه لون الأرض ، تفصح عن معنى واحد ، وهـــو أن تـــلازم الفتاة دارها في مثل هذا الطقس اللعين .

.. ضحك صاحب الدجيلي وتوالت قهقهاته إثر موعظة إلهـــام ، قـــال معلقاً :

" ... الطقس المضطرب الجسور عظيم الشأن لأنه جعل الأمور أكثـــر وضوحاً ، وأقرب إلى الحقيقة " ؟ !

امتعضت إلهام وبنات الفلسفة من غلاظة التعليق الدجيلي الذي غالباً ما تختلط لديه المرئيات بالمسموعات ، فتضطرب العلاقـــة عنـــده بـــين الكـــلام

والمقام، وقد إعتدنا على لغته القاسية هذه التي وصفتها إلهام بأنها كومة من حجار لا أحد يستطيع أن يتنبأ أو يعلم متى وأين ستنتصب على رؤسنا أو تدق أعناقنا ؟! .. الشئ الطريف أن معظم زميلاتنا اللائي أصبن بآثار وأهوال العاصفة الترابية، تخلين عن حضور الدرس الأول وفضلن ضياع الحصة الأولى إلى الجحيم من أجل إعادة الهيبة لمظهرهن ومحاولة إصلاح ما عبثت به ريح الصباح الهوجاء ، وما تراكم على الوجوه من تراب ، فقد تدافعن إلى حجرتهن المخصصة لهن ، ليعدن الزينة وتسريح الشعر وترتيب الألوان !

الخميس ٣/١٩

فوجئنا في محاضرة الفلسفة اليونانية ، بالدكتور جعفر آل ياسين يحل بديلا عن حازم مشتاق ، قيل أن الأخير عين مستشاراً ثقافياً وهو في طريقه الآن للالتحاق بوظيفته في لندن .

كرس آل ياسين المحاضرتين المتعاقبتين لعرض وشرح مفهوم (الشك المذهبي) في الفكر الفلسفي اليوناني ، وموقف سقراط من المغالطات السوفسطائية ونقوضه على اعتماداتها الفكرية في موضوع (المعرفة) .

.. أثيرت أسئلة عديدة حول تراجيديا محاكمة سقراط ، بوصفها أول جريمة ضد الفلسفة .

.. الدكتور جعفر آل ياسين ، الذي يبدو صارماً على الدوام في محاضرته، تكتشف بعد حين خلقاً رفيعاً وتهذيباً عالياً ، وأبوة حانية يميل أسلوبه التعليمي إلى إتباع الطريقة الإملائية التقليدية في عرض المادة الدراسية مع اهتمام شديد بالتفاصيل والجزئيات ، .. وكثيراً ما أورثتني شروحه

المستفيضة الصداع ، اللافت للنظر بأننا لا نزّود بأية معرفة (منهجية) أو (نقدية) في غالبية المواد الفلسفية التي تدرس لنا أو تلقى علينا ، ونكتشف هذا الفقر المعرفي ، حال قراءاتنا اللاحقة في مكتبة الكلية عبر المراجع المتوفرة فيها ، ولا ندري هل نحن نخضع لبرنامج تجريبي لم تكتمل ملامحه بعد في القسم الذي يعود تأريخه إلى عام ١٩٤٩ أم هي تقاليد درج عليها الأولون ومضى على آثارها اللاحقون ؟!

.. لعل من السابق لأوانه إصدار حكم نهائي في هذا الشأن !

الاثنين ٣/٢٣

عرض تلفزيون بغداد في سهرته الليلة ، فيلماً (باكستانياً) .

يعد نسخة رديئة وساذجة لفيلم (أم الهند) الشهير ، بسبب اضطراب النص وتفكك المشاهد واصطناع الأحداث . وقد ذكرني بفيلم قديم اسمه (بهادر) في الخمسينيات ، لا أدرى إن كان هندياً أم باكستانياً ، لكنه كان من طراز أفلام (الحركة) ، التي لا يعرف المتابع لأحداثه يمينه من شماله ، يختلط فيه الشتاء بالصيف ، وليس ثمة أدنى علاقة بين مشهد وآخر ، فكل حدث فيه مستقل ، قائم بذاته ، منفصل عما سبقه ، أو يليه . ويبدو أن القائمين على إعداد برنامج السهرة ينتمون إلى طاقم بهادر ، فلا تنسيق بين المواد المبثوثة ، ولا فحص مسبق لنوعيتها أو دراية بقيمتها الفنية . إن أقل ما يقال بهذه المناسبة أن يتحول (التلفزيون) من جهاز استقبال لمادة تنويرية من الفن الرفيع والجماليات الراقية ، إلى جهاز إرسال لا هدف له ، ولا غاية تبرره إلا بث الأخبار الجافة ، والقيم الهابطة ، والترويج لثقافة (الحظ والنصيب) التي

تزيد من وطأة الجهل والخرافة والأمية في مجتمعنا الذي هو بأمس الحاجة اليوم إلى نصوص (علمية ، ثقافية ، فنية) جرى التحقق سلفاً من رصانة موضوعاتها ، ومن وزنها النوعي وقيمتها الإبداعية ، على طريق النهضة والتقدم . واحترام عقل الإنسان.

الثلاثاء ٣/٢٤

ظهر اليوم في أسواق بغداد مشروباً غازياً جديداً يحمل ماركة (سفن آب)
الملاحظة اللافتة للنظر ، زجاجة خضراء بعناية فائقة ، الماركة ، لون ومذاق المشروب. كل هذه التفاصيل تجعل (السفن آب) مميزاً ، متجاوزاً المألوف المتداول والتقليدي ، وبوصفه مشروباً جديداً ، فقد أقبل الناس عليه ولعل الاندفاع إلى تجربته يكمن في ثقة الجمهور بالهوية الأجنبية للمنتوج ، التي تعني في رأيهم الامتياز النوعي إذا قورن بالمحلي الذي افتقدناه منذ الخمسينات : كالسيفون والنامليت وغيرهما من المشروبات الغازية التي كانت أقل كلفة وأطيب مذاقاً ، وبدلاً من أن تتطور هذه الصناعة الوطنية المتواضعة ، استبدلناها بضروب من المنتجات الأجنبية (الأمريكية على وجه الخصوص) ، وبفضل العبقرية البيروقراطية ؟!! فقد تمّ رفع الحماية الحكومية عن الصناعات الوطنية وتعليق الدعم لها ، بل بالغنا في إجراءاتنا الروتينية ، وزدنا مستوى التشريعات الضريبية .. ولم يغب (النامليت) أو (السيفون) لوحدهما ، وإنما تلاشت أو كادت العشرات بل المئات من منتجاتنا الوطنية حتى نزلنا إلى مستوى (اللباس

الداخلي) ، الذي كان ينتج من الخام الأسمر أو الأبيض في بيوتنا ، .. مبثوثاً في كل زوايا وأسواق (علاوى الحلة) الشعبية .
.. أما اليوم فهو في الأعم الغالب (ماركة) و(موضة) ، وجزءاً حتمياً للأناقة لا يتوفر إلا في المحلات الراقية في شارع الرشيد (أو رزدي باك، الهدى ، الأزياء الحديثة ، حسو إخوان ، السليم) إلخ .. " .
حتى اللباس .. ترى ما الذي بقي في حوزتنا لنستبدله ؟!

الأربعاء ٣/٢٥

.. شعرت بمتعة بالغة وأنا أشاهد مساء اليوم تمثيلية تلفزيونية عنوانها : " (ويلادي) ! قدمتها عبر شاشة بغداد فرقة (شهرزاد) التي سمعت بها لأول مرة ورغم أن التمثيلية (مُستلة) عن (آرثر ميللر) في مسرحيته (كلهم أولادي) فإن تقديمها باللهجة العراقية ، وطبقاً للأجواء المحلية يعد في حد ذاته عملاً شجاعاً .
مساءً عدت إلى يوسف كرم في كتابه : " الفلسفة اليونانية " !

السبت ٣/٢٨

التقطت من سوق السراي كتاب " نظرية أرسطو المنطقية " بمبلغ ثلاثمائة فلساً.
في المساء المتأخر بعد أن أمضينا ثلاث ساعات في مقهى (العروبة) ، صحبنا فالح ، عامر وأنا إلى (حاج زبالة) ، وتناولنا وقوفاً وعلى عجل (لفّات) من الجبن الأبيض واحتسينا (شربت زبيب) . لكن المعضلة التي

واجهت (العمدة) هي خلّو الأسواق من (السجاير) في مثل هذا الوقت المتأخر من الليل .. وعلى حد تعبيره فإنه لا يستطيع أن يؤوب إلى الدار مالم يكن مزوداً بـ (الروثمان) وبشرط أن تكون السجاير طرية وليست (عتيقة) .. فاضطررنا أن نلجأ إلى (داود أبي سلوم) صاحب مقهى العروبة ونطلب منه (ثلاث) لفائف من دخان الروثمان ، وكان كعهدنا كريماً إذْ اقتسم العلبة مناصفة مع فالح الذي طرب فرحاً وكأنه ظفر بالجائزة الأولى ، الآن فقط يستطيع أن يأوى إلى بيته قرير العين آمناً مطمئناً .

الأحد ٣/٢٩

.. في الضحى ، عامر وأنا إلى المنصور ، حيث قدمنا لأدمون والعائلة التهنئة والتمنيات لمناسبة (عيد الفصح المجيد) .
تناولنا الغذاء على مائدة الأسرة .
واحتسينا قدحاً صغيراً من (النعناع) ؟!
– مساءً ، قراءة أخرى في الماركسية ، التي إنحدرت عن (الهجيلية) إلا أنها بالضد منها ، فقد إقتبس ماركس عن هيجل (نواته العقلية) حسب تعبير ستالين ، والقى بقشرته الصوفية والمثالية وبزّيه التبريري الشائع بألمانيا في عصره ويمكن القول أيضاً بأن الماركسية أخذت عن الهيجلية مبدأين هامين :
الأول : هو إستنباط الجدل في العلم مكان العقل التحليلي حتى يتسنى لنا فهم الارتباط الضروري بين الأشياء والعمليات .
الثاني : هو إعتبار الجدلية داخلة في الأشياء والعمليات ، بعبارة اخرى : تكون فلسفة هيجل هي فلسفة الكل المتناسق وفلسفة التطور والتحول لهذا الكل. ولأن الماركسية ترفض مثالية هيجل وفلسفة الكلية المغلقة وترفض المسار

الفكرى للديالكتيك ومحطته الأخيرة. فأيقاف ديالكتيك هيجل على قدميه من قبل ماركس يعني في الأخير صياغة ديالكتيكية ستختلف كلياً عن عضوية الديالكتيك الاغريقي وصوفية الديالكتيك الهيجلي ، إذْ أنها سوف لن تكون علم تفسير تطور الطبيعة والأشياء فقط بل وأيضاً أداة تغييرها ، .

الأربعاء ٤/١

قال الراوي : بعد مرور فترة طويلة من الترقب والانتظار حل الأربعاء الجميل في نادي كلية الحقوق جلسا متقابلين حول طاولة عتيقة بلون الفيروز .

.. مضى شهران بالتمام والكمال ، على آخر موعد لهما في حديقة كرادة مريم .

تحدثت عن انشغالاتها العائلية التي تضاعفت مسؤوليتها إثر رحيل أمها ، أشياء كثيرة متشعبة . الطبخ . الغسيل ، رعاية شقيقتيها ومتطلبات أخيها الأصغر عادل .

قال : " .. لم يعد أمامنا وقتاً متاحاً أن نهنأ به كما في السنوات الخوالي ، أحاول اغتنام الفرصة لمثل هذا اللقاء العجول ، فكرت أن نعاود معاً الكتابة بعد أن تعذر علينا إيجاد وقت في هذا الزمن الهارب " . وما كادت أمل أن تنتهي من قدح الشاي حتى أطلت زميلتها (بتول) ، إيماءة إلى انقضاء الوقت ، فقد أذنت ساعة الانصراف ! تباطأت خطواتها ، وهي تهم بمغادرة (النادي) ، لمح حبيبات دمع تتألق في عينيها ، ثم قالت : مهما

طالت الغيبة ونأت بيننا المسافات ، فأنت قريب قريب ، بل أنت تسكن في روحي وقلبي وأحملك في عينيّ .

.. سوف لن تنتظر طويلاً .. فقد تاقت نفسي الموجعة إلى لحظة استرخاء على الأريكة الخضراء .. ثم ألقت عليه السلام ومضت .

الأحد ١٢/٤

زيارة مستشفى الأمراض العقلية .

في التاسعة والنصف من صباح هذا اليوم ، انطلقت بنا حافلة خاصة تضم طلبة السنة الأولى فلسفة ، برفقة الدكتور صالح الشماع إلى مستشفى الشماعية للأمراض العصبية كجزء عملي من متطلبات دراسة : " علم النفس " .

.. تجربة إنسانية فريدة وغريبة في نوعها ومضمونها ، فما أن ولجنا هـذا العالم المنسيّ حتى امتلأ قلبي بالمرارة والحزن والأسى ، وليس بوسـع أيـة عبارة موحية أن تأتي على وصف المشهد المأساوي ونحن نطوف بين العنابر والمهاجع وورش العمل وطرقات المستشفى.

الإحساس الأول الذى انتابني هو المهانة الشخصية ، وبأننا مخلوقات زائفة متدنية ، وبأن العالم بلا قلب .

وكدنا نصرخ احتجاجاً : **أين الإنسانية ؟ !**

أين الحكومة ؟!

أين وزارة الصحة ؟!

بل أين المجتمع ؟!

هذا العبث الذي لا يساويه إلا الفجيعة وهذا التطويق الغليظ الفاقد لأي قيمة أخلاقية الذي يمارسه الحراس والموظفون .

وغالب الظن بأن (الحيوانات) حتى السائبة منها أفضل حالاً بل أكثر أمناً وسلاماً ، من أوضاع هذه الكائنات الشقّية الذين قذفتهم الأسباب القـاهرة إلـى جحيم الشماعية .

هنا تمتلئ العبارات بالمعاني والدلالات :

فالغابة السوداء التي صنعها العقلاء بأيديهم لمن يسمونهم : " مجـانين " . تكشِف بأن الكثيرين من هؤلاء – المرضى – هـم أقـرب إلـى العقـل والمنطق والسلامة النفسية .

صورة مقلوبة للعالم .

الإملاق . المرض . القذارة

المستشفى شبيهة بثكنة عسكرية . أو (سجن كبير) تحيط به أسوار عالية .

فالقيود صارمة . والحراسة قائمة مصائد ، أسلاك شائكة .

والضرب المبرح حفلة سمر مستمرة يعقبه الصعق الكهربائي المدمّر .

انتزع العقلاء الأتقياء؟.!! من هؤلاء المرضـى – الحـواس – وسـلبوهم الإرادة وأطفأوا في نفوسهم المقاومة .

يبدون أشباحاً هزيلة ، ومخلوقات كسيرة ، محطمة ، تائهة .

ضاع صوت الدكتور الشماع وتناءى عن أسماعنا ، ونحن فاغرو الأفواه ، مصدومون ، يملؤنا الرفض والحنق ، والصراخ والاحتجاج .

أو البكاء !

.. حاولنا الاقتراب . جلسنا متجـاورين ، أفرغنـا جيوبنـا مـن النقـود والسجاير . لست وحدي الذي تمنى لو انه ينزع ما عليه من ثياب ليستر جسد امرأة شبه عارية ، أو رجل لا يجد ما يرتديه .

لا أظن أن البؤس والظلم والقهر الذى تلمسه هنـا وتـراه فـي ردهـات الشماعية يمكن أن يكون له مثيلاً في كل الدنيا ، ولعل " ردهة النساء " نموذجاً صارخاً يشهد على التعسف والوحشية وسقوط القيمة الإنسانية لأدمية البـشر . حتى كاد بعضنا من شدة تأثره وانفعاله أن يشتبك مع موظفي المستشفى إذ لـم يعد بوسع أي كائن منا أن يحتمل المشاهد المريرة في عموم الشماعية ، كما لم يعد بمقدور أحد إلا أن يردد مع نفسه ؟!

أين العدالة ؟! ، أين ولتْ إنسانية الإنسان ؟!

ترى من هي الجهة الرسمية أو الأهلية التي تتحمل مسؤولية العذاب المقيم أو الجحيم الذي يكتوّي بناره هؤلاء البشر الذين لا حول لهم ولا قوة .

إدارة المستشفى ؟!

أم مافيا العاملين ؟!

أم وزارة الصحة .؟!

أم الحكومة ؟!

أم المجتمع ؟! الذي نسيَ أبناءه وتركهم كما الدمى يتلهى بها جـلاوزة غلاظ القلوب .

.. في طريق العودة أهبنـا بالـدكتور الـشماع أن يراجـع الجهـات المختصة أو ذات العلاقة لعرض المشهد المأساوي والسعي إلى إيجاد معالجات عاجلة ، وإن لم يكن بمقدوره أن يفعل مثل هذا الأمر ، فليدلنا أو يرشدنا إلـى الطريقة التي تمكننا من إيصال صوت هؤلاء المحرومين إلى (الباب العالي)؟!

.. وعدنا خيراً ومضى .. ؟!

.. ولدّتْ (دراما) الشماعية في نفسيَ أسىً بالغاً لم أستطع تجاوزه طوال هـذه الليلة بعد أن تسببت مشاهدها الموجعة في نوبة حادة من الـصداع النـصفي . لازمتني حتى طلوع الفجر !

الأحد ٢٦/٤

.. تولى الدكتور آل ياسين على مدى ساعتين مراجعة المفاهيم المتعلقة بمعنى الفلسفة على نحو (تعليمي) عام وتقليدي ، والخلاصة :-

١- الفلسفة : علم المعرفة الكلية المطلوبة لذاتها :

لأنها تهتم بكل ما يثيره العقل البشري من إشكالات كلية تنصب على الوجود كله في صورته العقلية الشاملة .

- **مثل :** طبيعة الوجود - مشكلة الحرية إلخ . وهي (أي الفلسفة) مطلوبة لذاتها لأن طلب المعرفة لذاتها أشرف ما يسعى إليه الإنسان معتمداً على التأمل العقلي.

٢- الفلسفة هي علم المبادئ الأولى لكل ظواهر الوجود

الفيلسوف يسعى إلى إدراك المبادئ الأولى والعلل البعيدة التي هي بطبيعتها عقلية مجردة ، وإذا تمكن الفيلسوف من إدراك تلك المبادئ الأولى للوجود ، يمكنه أن يفسر كافة الحقائق الجزئية المادية ، يردها إلى أصولها العقلية الأولى وعللها الحقيقية البعيدة .

- **مثال :** لا يكتفي الفيلسوف بمعرفة السبب المباشر لنمو النبات نحو : (الماء والهواء والشمس) ، وإنما يريد الفيلسوف أن يرتقي لكي يدرك العلل العقلية البعيدة والمبادئ العامة لنمو كل الكائنات الحية .

٣- الفلسفة وجهة نظر عقلية

هي وجهة نظر نابعة من خبرات الفرد وحياته الخاصة ، وظروف المجتمع .

- وهي عقلية لأن الفيلسوف يؤيد وجهة نظره بكل الأدلة العقلية المتاحة .

٤- تتسم الفلسفة بـ (الذاتية) ، لأن الفيلسوف يتأثر بمشاعره الشخصية وميوله الداخلية .

٥- تعمل الفلسفة على الارتقاء بالمستوى العقلي وحل المشكلات عن طريق دراسة وجهات نظر الفلاسفة .

إثر إنتهاء آل ياسين من إملاء النص فوجئنا بالدكتور يحـوّل الـسؤال الذي ألقاه الزميل عبد اللطيف محمود عليه ، إلى سجال ذي صوت عال ، لأنه يعتقد بأن الفلسفة لا تنحصر في تعريف محدد أو توصيف مـسبق ، وأنهـا لا تعرض بمثل هذه الطريقة المدرسية ، والشئ ذاته لدى خالد خليل ، الذي جـاء على لسانه (الفلسفة تضيق بالقوالب الجاهزة ، والأوْلـى أن نـستبدل عبـارة (التعريف) ، بـ (المفاهيم والمصطلحات) بوصفهما مفاتيح ضرورية وأساسية لتحقيق مستوى معقول للفهم ، .. كل هذه الأسئلة والملاحظـات تـسببت فـي إثارة حفيظة الأستاذ مما جعله يضع (ملزمة) المحاضرات في حقيبته الجلدية ، وهو يردد عبارة : من المفيد أن تتفلسفوا ولكن ليس بهذا الأسلوب ، وأوصـد الباب ومضى ..

* * *

أمضينا فالح وأدموند وأنا الجزء الأول من الليل في مقهى العروبة ، بانتظـار عامر الذي لم يأت كعادته في الموعد المحدد .

.. اقترح فالح . أن يصحبنا بسيارته في جولة ترويحية في الكرادة ثـم نعـود بعدها إلى المقهى ، لعل عامر يعود خلالها .. تحـدثنا عـن واقعـة غـضب الدكتور جعفر آل ياسين في محاضرة اليوم ، وقررنا أن نسترضيه غداً .

وكان باسل الدوري قد وجه عتاباً لزميليه ، لأن طريقة السؤال كانت إلى حـد ما مثيرة ، فأجابه خالد : إذا توقفنا عن السؤال ، فلنقرأ على المرحومة الفلسفة (السلام) وإن شئت (الفاتحة) ؟!

الأحد ٥/١٠

.. الكرخ قبيل المغرب . مقهى (أبي عامر) في (الجعيفـر) التقيـت بعـض الأصدقاء:

حسين (أبو دية) الربيعي .

حيدر الفضلي ..

عبد الوهاب السامرائي .

.. عندما تلج المقهى في مثل هذه الأيام ، فلابد أن يكون الحديث الأثير لأبـي دية وحيدر على وجه الخصوص هو هموم العمل القومي ، فلا ينفك أي منهما عن متابعة ما يجري من أحداث في الوطن العربي وتكون مصر هي البدايـة دائماً باعتبارها عاصمة الأحداث القومية الكبرى ، لّما تمثله من موقع مركزي في حياة العرب المعاصرة ، والدور القيادي للرئيس جمال عبد الناصر .

.. واذكر هنا الصديق عبـد الحـسين يـوم التقيتـه أول مـرة فـي مقهـى (الوحدة العربية) وهي ليست بعيدة عن مقهى أبي عامر عام ١٩٥٨ ، عقـب ١٤ تموز، وكان يقرأ في كتاب للحكم دروزة بعنوان :

" **الوحدة العربية** " حيث جرى التعارف بيننا منذ تلك الأيام . وظـل الربيعـي عقلاً متوقداً ، نابهاً ، حيوياً ، شديد الثقة بالمستقبل العربي ، وبقـدرة الـشعب العربي على تحقيق حلم الوحـدة العربيـة .. وان جريمـة الانفـصال فـي أيلوك/سبتمبر ١٩٦١ بوصفها تحدياً للأمة العربية في حاضرها ومصيرها لابد أن تواجه بمنطق العقل الاستراتيجي النقدي الذي يكشف عـن نقـاط الـوهن ومصادر الخلل في هذه التجربة ويعيد الثقة بحتميتها وبذات المنطـق العلمـي يتعين إعلان شأن الوعيّ لدى جماهير الأمة في حركة عربيـة واحـدة تعيـد

تنظيم الصفوف وتحديد الأولويات الأساسية وبغير العلم والثقافة والحرية ، والطلائع الواعية ، فإن أمد التجزئة قد يتحول إلى واقع مرضي يغذي النزعات التجزيئية ، القطرية ، والانعزالية ، وبذات الهمة واليقظة الفكرية ، يواصل أبو ديّه رسالته القومية بنفس الحرارة من التفاني والإخلاص

أما حيدر الفضلي الذي يعد واحداً من أعمدة حركة القوميين العرب ، فانه يتمتع بشعبية واسعة في صفوف عمال وشغيلة العراق ، بوصفه مناضلاً اختار العمل النقابي من أبوابه الأولى ، وتعرض للاعتقال والنفي والملاحقة .. على أن أهم مزايا أبي كرار التي يلمسها جميع من عرفه أو تعامل أو عمل معه هي صلابة موقفه المبدئي ونبله الإنساني ، وشهامته الحاضرة في كل وقت .

* * *

شدني الشوق إلى الفحامة ، صحبت من هناك نوري شفيق إلى مقهى (الشط) جوار شريعة النواب ، بدا نوري شاحباً وحزيناً ، انتظرت أن يفضي بما يشغله لكنه آثر الصمت ، وهو يفتح عينيه على مياه دجلة متأملاً .

بادرته بالسؤال : ما الذي يجعلك شارد الذهن ، وكأنك تطوف في عالم أخر ؟!

ابتسم أبو النور ، ابتسامته المريرة المفعمة بالأسى قائلاً :

" ألا يستحق الحب بعض العناء " ؟!

فأجبته : حدثني عما يشغلك !

" .. هذا حديث يطول يا صاحبي .. وسيجئ في حينه وأوانه .. أنني أمرّ بمرحلة بالغة الإيلام ، أو لعلها من أشق مراحل الهيام عذاباً، فلا تسألني الآن. قد أحدثك يوماً ، عندما أتخطى حالة انعدام الوزن مما هو قائم الآن إلى حال أخرى فأنت تعلم أن تجربة القرب ، تجربة ذاتية لن تتم معالجتها إلا من الداخل .. ينتقل فيها العاشق من حال إلى حال ومن يدري لعلي أصل يوماً إلى

مقام الزوال . فأنا لازلت مقيماً في أعماق (الجحـيم) ، تـستعر فـي قلبـي جمرات الصدّ والهجران، وأنا أعدو كالتائه ما بين الرغبة والخيبة ، .. لكن لا شئ ينبئ حتى الآن عن باب مشرع ، أو حتى (كوة) صغيرة أنفـذ منهـا ، كي ما أتخطى أَلْسنّة النار ..

فــ (المطهر) لازال بعيداً في أقصى زاوية الحزن ..

قد .. يأتي زمن البوْح يوماً ما ..

.. أو في يوم من أيام الغد ..

.. لكني أخشى أن يأتي بعد غروب الشمس وعروج الروح !

* * *

.. بعد أن انغمر قلبي بآهات نوري وبأحزانه العظيمة لملمت نفسي ، نهـضنا معاً ، وعند باب جسر الشهداء يمم أبو النور وجهه صوب اللامكـان ، فيمـا عبرتُ ماشياً وأنا أقطع آماد المغرب إلى ضفّة (دجلة) الأخرى ،وأنا أستعيد كلمات الصديق الذي قد لا تجد في هذا الزمان مثيلاً لعاطفته المتوهجة بالألفـة والحميمية ، .. وهو الإنسان الذي أفتقده كثيراً فهـو الرفيـق المـستديم منـذ طفولتنا الأولى حتى الآن ..

الاثنين ١١/٥

قدمت صباح اليوم بحث " دوافع سلوك الفرد " .
للدكتور صالح الشماع كجزء من أعمال السنة الدراسية في مادة علم النفس .
قلب صفحات البحث وتوقف قليلاً ، وهو يقرأ صامتاً ، ثم سألني " لماذا توقفت عند (فولتير) ومضى دون أن ينتظر الجواب " ؟!

الاثنين ١٨/٥

أمضينا الظهيرة معاً ، خالد حبيب الراوي وأنا ، وهو يقرأ واحدة من أحدث تجاربه في القصة القصيرة .

أهم شئ لدى خالد هو أسلوبه الجذاب الذي يتمتع بكثافة العبارة ، واهتمامه الشديد في بناء الجملة الصورية والرؤية المبتكرة في تصميم خطوط العمل الإبداعي ، وكذلك النزول العميق إلى خلايا الواقع التي تبدو أحياناً غير مألوفة أو مرئية ، وفي هذه القصة كما غيرها ، تبدو رومانسيته مطلباً ملحاً ، ولكنه بعيد المنال ، مما يجعل التوق مستديماً صوب أفق الوصول . عبر الأبواب الموصدة ، والأسوار المنيعة ، والنوافذ المطفأة ، فلا خيار أمامه إلاّ الترقب . الانتظار . التوتر الداخلي ، .. وهكذا يمنح القارئ أو يصحبه في رحلته ، مشدوداً ، قلقاً حيال النهايات المفاجئة ، متخطياً الرتابة والتكرار والخاتمة السعيدة .

* * *

مساءً في مقهى العروبة عامر وأدموند وفالح وكان لانـضمام حـازم المدلل إلى (شلة الأنس) في هذه الليلة ، وقعاً مدهشاً فهـو الجلـيس الأنـيس تتوافر لديه مهارات عديدة في تصميم الحكايات ، وتحريض العقول ، وتـدفق الطرائف.. يذكرني بالجاحظ في ثنائيته الفريدة (الجد والهزل) ، فلا يستغرب أحد منا أو يفاجأ من النقائض والأضداد فقـد تتـشابك الوقـائع بالأسـاطير ، ويتداخل الصدق النفسي بالكذب الأبيض ، وتـذوب المـسافة بـين الحقـائق والمغالطات ، وقد تضيع الاتجاهات هكذا تمتلئ جلسات السمر بوجود (زوما) وحضور العمدة فالح ، حيث تبتدئ الأحاديث (حواراً) لّيناً في البدء ، تتحول بعد عشر دقائق أو أقل إلى (مناقشة) حامية لتستحيل فـي آخـرة الليـل إلـى (سجالات) عاصفة ، لكنها في كل مراحلها وأحوالها تطرب القلـوب وتـشرح الصدور ، فهي إحدوثات وأقاصيص ملّونة بالطرائف المتبادلة تنهض مادتهـا الأساسية على قاعدة من التهويل والمبالغات ، والأوصاف المثيرة ، فلا يملـك أيّ واحد من(شلة الأنس) إلاَ أن ينفجر بالـضحك المتواصـل ، مـن فـرط (لمناقرة) المحببة .. ولحازم (الكرخي) الأصل والولادة ، الاعظميَ الإقامة ، سجايا عصر (البطولة)، في الطباع والمزاج ، فهو كائن اجتماعي من الطراز الأول شديد الحميمية مع الناس والأصحاب وفياً لأصـدقائه ، حاضـراً فـي الملمات والأرزاء .. وهذه السجايا الحميدة وغيرها إستولدت في عقله موقفـاً نقدياً من الواقع ، وفلسفة للحياة ، في منأى مـستقل عـن مقـولات الحكمـاء وكلاميات الفلاسفة ، فالسعادة في رأي حازم لا تتحقق دائماً بوفرة المال ، ولا بالعيش الرغيد رغم أهميتهما للكائن البشري ، وإنما أن يعثر الإنـسان علـى نفسه أولاً ، ويتحقق من رغباته ثانياً ويحدد أهدافه التي يتعينّ عليه أن يـصل إليها أو ينجزها ثالثاً بشرط توفر (الوعيّ) أولاً وقبل كل شئ .

الثلاثاء ٥/٢٧

مع فاضل الربيعي في مقهى (الريفي) بالجعيفر
مساء اليوم أعلن عن وفاة الزعيم الهندي جواهر لآل نهرو .
تذكرت على الفور كتابه الرائع " رسائل إلى ابنتي " التي كان يبعث بها من السجن إلى أنديرا غاندي .. وصفه المعلق السياسي بأنه أحد قادة عدم الأنحياز في العالم إلى جوار جمال عبد الناصر وتيتو ونكروما الذين يشكلون الجبهة الأمامية في معركة الاستقلال الوطني ، وهي ذات الجبهة النضالية المعادية للإمبريالية العالمية ولسياسة الأحلاف الاستعمارية .

الأربعاء ٥/٢٨

انعقاد المؤتمر القومي الفلسطيني في (عمان) قصد اتخاذ إجراءات حازمة تجاه مساعي الكيان الصهيوني الرامية إلى تحويل مجرى نهر الأردن .

الأحد ٦/١

أطلق السيد النفّاخ على منتزه النعمان في الأعظمية ، مصطلحاً سياسياً هو " الأرض المحروقة " بسبب تواجد امرأة بعين واحدة ، واحتساء الشقاة الخمرة المغشوشة في رابعة النهار ، دونما (ثلج) أو (مزّة) لذلك قرر عبور جسر الأئمة إلى ضفة النهر مشياً على قدميه ، بحثاً عن مكان بهّي ، ينفرد فيه بنفسه ، ويعينه على مواصلة تأملاته !

الجمعة ٦/٦

الكرخ – مقهى أبي القاسم .

لا خيار أمام المرء تحت وطأة الصيف اللعين ، وحرارة الباذنجان ، وأبخـــرة المستكي، إلا أن يعيد قراءة ألف ليلة وليلة ، ويقلب فـــي الظهيـــرة صـــفحات " رجوع الشيخ إلى صباه ". فالحياة لم تعد تحتمـــل نـــصوصاً دســـمة بكثافـــة (الدهن الحر) .

.. وعندما يمتد الخدر إلى الجملة العصبية ، ويصل إلـــى مـــوطن الأســـرار فالخيار الوحيد هو إقتحام الجحيم " . هكذا تحدث نوري شفيق في تمام الحادية عشرة من صباح يوم الجمعة .

* * *

... هبط عبد الحليم حافظ على أرض بغداد ومجموعة مـــن فنـــاني العربيـــة المتحدة ، عده العراقيون حدثاً كبيراً في عاصـــمة الرشـــيد . ألهـــب حمـــاس مواطني بغداد بأغانيه الوطنية (صورة .. صورة) ، (يا أهـــلاً بالمعـــارك) ذلك أن غالبية العراقيين يعدون جمال عبد الناصر أمل العروبة وقائدها نحـــو الوحدة والحرية .. والمستقبل .

* * *

السبت ٦/٢١

عن المرأة ومقامها ، اختزل السيد النفاخ فقه الأنثى بقوله :
" مثلما فضيلة الرجل أن يكون صادقاً ، فإن الجمال هو فضيلة المرأة اعترض أدموند بشدة ، وهو يردد

" ألم يقل الناس بأن العقل زينة النساء " ؟!

قال الراوي : " مقياس الجمال في المرأة الأنوثة قد تبدأ بالهمس وتنتهي بالصخب الطاغي . فالأنوثة تتبدى لدى المرأة في مستويات متدرجة كما السلم الموسيقي ، ناعمة ، حانية ، هامسة ، لامسة ، ضاجة ، متفجرة ، طاغية . وعند هذا المقام تحترق الأوراق وتتناثر الكلمات فتقتلع الأوتاد وتمييد بالجبال الراسيات! .

والأنوثة : فن جماليّ رفيع راق ، لا يقبل (التصنع) ولا يحتمل (الغش) ، وهو في الأصل (موهبة) من مآثر الطبيعة ، وإن شئت (هبة إلهية) ..

وقد تأتي عن طريق التعلم اللامنهجي عبر الأحاديث الهامسة والمنقولات المتبادلة بين النساء ، مما يطلق على هذا اللون من الثقافة (أسرار النساء) ..

والأنوثة أيضاً : ضرب من ضروب ثقافة الحجرات الموصدة في تراثنا العربي الذي يقف في طليعته الجاحظ فيلسوف العقل والحرية .

والأنوثة التي نتحدث عنها ، قد تجد جاذبيتها في (بانوراما واسعة) أو (مشهد عريض) .. نحو : العقل النابه والحضور المقيم ،

- إيماءة العينين ..
- أسلوب الحديث ،
- طريقة المشي ..

- الابتسامة (زوايا الفم)
- تفاصيل الجسد
- حركة اليدين ..
- اتساق الألوان ..

وارفع درجاتها هي (الأنوثة العاقلة) ، التي تحتفظ لصاحبتها بشروط الديمومة والصيرورة جدلية الوقار العقلي ، والجاذبية الأنثوية ، التي تبدو نضرة ، متجددة على الدوام .

قرية راوة – الاثنين ٦/٢٣

قبيل المغرب نزلت بستان جدي قادماً من بغداد ، عانقت جدتي حمدية وضمتني إلى صدرها ألقيت جسدي على الرصيف ما بين شجر التين والفرات، أشم عبق الليمون أشعر هنا بأنني خرجت من قوقعة العاصمة إلى فضاء الحرية اللامحدود هنا تتحدث بتلقائية مع الذات والطبيعة والناس .

جاءتني خالتي (خميسة) بأبريق الشاي .. وتوالى وصول الأصحاب ، وبدأت أحاديث السمر الليلي التي لا تخرج في العادة عن هموم القرية وشجونها : موسم الزراعة والحصاد ، والاكتراث من موجات (الجراد) ، التي تواصل أسرابه غزواتها بين فترة وأخرى .

.. أما الثقافة في راوة فتأخذ مديات قصيّة قد يصعب وضعها في حقول معرفية بعينها ، فالتعبير الأول لها هو السياسة ، والأيديولوجيا ، من أقصى خط في اليسار الثوري ، إلى أبعد نقطة في اليمين المحافظ ، وما بين الأثنين ،

تتواصل أو تتقاطع مواقف لا حصر لها ، من الأحزاب والحركات ، ومنهـا : البعث والقوميون الناصريون ، والأخوان المسلمون .
.. ويبقى المشهد الثقافي مرتبطاً بالقراءات الذاتية ، والاهتمامـات الشخـصية التي تنتظر ما يحمله العائدون من العاصمة من كتب جديدة أو إصـدارات لـم يسمعوا بها من قبل ، تجئ عابرة الحدود من (الشام) ..
وقد ابتكروا وسيلة عملية في تنمية مهارات الاتصال بتبـادل المؤلفـات بـين مدينتيْ عانة وراوة ، وقد إتبع هذا الأسلوب وأصبح تقليداً منذ سـنوات بـين مثقفي راوة وقرائها لافتقار المدينة إلى (مكتبة) عامة كما هـو الحـال فـي المدينة المجاورة .
.. راديو (الترانستور) يبث (قصة الأمس) ، تشدو بها أم كلثوم من إذاعة القاهرة .

الثلاثاء ٦/٢٤

من تقاليد صباح البستان تناول الفطور على طريقة جدتي التي من عادتهـا أن تصلي الفجر في ميقاته المعلوم ، ثم تباشر سقاية البستان واطعام ما بحوزتهـا من الخراف والدجاج ، قبل أن تنشغل بالتنور ، لتهيئ فطـوراً شـهياً يليـق بالصباح البهي ، ونبدأ وجبتنا بالخبز الساخن والتين الطازج الذي يتدلى فـوق رؤوسنا فقطوفه دانية كما أشجار الجنة ، فما عليك إلا أن تمدّ يـدك ، دون أن تقوم من مقامك ، فتقطف الثمرات من غير تعب أو عناء .
العصر طقس السباحة .. تناولت الغذاء على مائدة العم مطنى ،

وعند الانتهاء ، تناولنا (البطيخ) في (الطينة) .. وعاد بنا الزورق إلى البستان . كان خالي عبد في انتظاري .

.. الليل امتلأ بأحاديث جدتي التي تحملني حكاياتها إلى الأيام السعيدة الأولى حيث (الخير العميم) و (النفس الراضية) .

الأربعاء ٦/٢٥

.. بعد الظهر تمشيت صوب جهة (المغرب) متنقلاً من المسطاح إلى المحلات الأخرى ، بيت درع ، بيت طلاع ، الخليج ، الهلالية ، استقبلتني عمتي (عائشة) في بستانها الصغيرة المثمرة .. جاءت تحمل : عنباً وتيناً وكمثرى ، جلسنا تحت ظلال الزيتون ، تسألني عن أحوالي وتحثني على الزواج ، ففي رأيها أن الزواج المبكر يحفظ الإنسان من المزالق التي تكتظ بها بغداد .

راوة : الخميس ٦/٢٦

.. أصغيت باهتمام لحديث الأستاذ سند محمد (من أوائل المعلمين) في راوة وهو ابن عم والدتي .. حدثني عن تأريخ القرية وعن الأحداث التي مرت عليها .. وعن علاقتها بالبادية .. وعن الشعر البدوي وما قيل في حق أهلها الذين يعدون (الضيف) هدية من السماء وأن إكرامه بمثابة فرض واجب كما فرض الصلاة ، وإن خير الزاد في راوة هو العمل والتقوى ، .

.. وسند من أوائل المعلمين في القرية تخرجت على يديه أجيال كثيرة ، وعندما بلغ السن القانونية للتقاعد آثر مزاولة مهنة أخرى ، وهي محاولة كتابة

تأريخ راوة (السياسي والاجتماعي) وكذلك إعداد قـاموس بـالحكم والأمثـال المتداولة وبعد أن أنجز هذين العملين المهمين واصبحا جاهزين للطبع فـوجئ في ليلة من الليالي بأرتفاع منسوب مياه الفرات المفاجئ الـذى تحـول إلـى فيضان تدفق إلى البيوت والشوارع ، فجرف الأمتعة والموجـودات الأخـرى ومن بينها ، الكتابين العزيزين .. مما أصابه بالحزن والأسى .

راوة : الجمعة ٦/٢٧

الشئ المدهش في القرية هو عذوبة هوائها ونظافة أرضها ، وطقسها المعتـدل أيام الصيف . وبوسع الإنسان أن يمضي أجمل الأوقات خاصة في الأجـازات الصيفية الطويلة ، بين الماء والشجر ، أو يطوف بين البـساتين ، أو يرتقـي الجبل أو ينزل النهر .. يصغي إلى غناء (النواعير) المفعم بالشجن والحنين. .. أو يستمع إلى عظات الشيوخ ، وحكايات الدواوين .

بغداد ١/٧

عقب العودة من راوه وجدت فى انتظاري بطاقة ملونة لأحد معالم باريس من الخال عبود يصف فيها رحلته الجميلة ومغامراته الشجاعة ، فى ربوع ومنتجعات البلدان الأوربية ، فرنسا ، ألمانيا ، إيطاليا ، مع وعد أن يحدثني قريباً عن عجائب مشاهداته فى تلك البلاد .

.. وكان (الخال فانيا) كما يحلو لخالد حبيب أن يناديه ، قد أنهى مهمته فى الجزائر بعد انضمامه إلى حملة (التعريب) فى مدارسها ، ووجد أن أمامه وقتاً متاحاً وبحوزته مالاً وفيراً لأن يقوم برحلته الأوربية ، وكانت (أسبانيا) محطته الأولى ، وقد دأب على الكتابة إلينا طوال فترة عمله فى الجزائر.

وقد إعتدنا منذ صبانا المبكر أن نناديه باسمه المجرد.دونما رسميات القرابة. أو مستويات السن والأعمار ..

حتى أصبح الصديق الأثير بل نحن مدينون له بأكثر الأشياء أهمية : الثقافة والحوار ، وقبول الرأي الآخر ، والتخلي عن الأحكام القاطعة ، ومفارقة التعصب .. واحترام العقل . ولم تمنعه ماركسيته (المتفتحة) عن عقد صداقات حقيقية مع ذوى الاتجاهات السياسية الأخرى . حتى فى أشد مراحل الصراع الايديولوجي التي شهدها العراق عقب تجربة ١٤ تموز/ ١٩٥٨ .

نزلنا مقهى العروبة وعلى أرائكها الصيفية . إلتئمنا بعد غيبة عشرة أيام ، فالح وادموند وعامر . وقد أفضى السيد النفاخ عن معطيات (سفرته) القصيرة إلى الموصل . التى جاءت نتائجها على غير هواه ، فلم يحظّ بلقاء أو نظرة أو وصال مع حبيبة القلب ، بعد أن طاف حول الدار والديار وطال به الانتظار دونما جدوى .

.. يقول : كدت أصاب بالجنون ، فلجأت إلى بدران غزال ، وخالد خليل لألتمس السلوى وألوذ بالصبر الجميل .

الجمعة ٧/٢٤

.. معاً نورى شفيق وأنا إلى حديقة حيوان السكك فى الكرخ ، وقفنا طـويلاً أمام قفص (القردة) .. لعلها الكائن الوحيد الذي يذكر الإنسان بأصله طبقـاً لـسلوكه وحركاته ومستوى محاكاته لبنى البشر .

.. حكيت لأبي النور عن مشاهدتي الأولى للقرد ، في نهايـة الاربعنيـات ، عند ناصية الزقاق الذى يفضى إلى (محلة الذهب) بالقرب من (سيف الحبوب) ، فـى هذا المكان ، كان ثمة رجل يراقص قرداً عجيب الحركات ، يقلد الإنسان فى نومـه وقيامه وكذلك في حالة انشراحه وغضبه .. وكان الناس يقبلون على هذا المشهد من محلات الكرخ وإطرافه .. يلقون فى نهاية العرض بعض النقود !

قال الراوي : من وجهة نظري بأن العبث الإنساني ، الـذى يُـسمى فـن (إعـداد وتدريب) الحيوانات في (السيرك) أو على ناصية الطرقات ، وبصفة خاصة (القردة) لا يعزز فقط نظرية "النشوء والإرتقاء" الداروينية ، وإنما يبـرهن أيـضاً علـى أن (اللاوعي) البشري ، في مراقصة القردة ، وإلزامها (تعلماً وتدريباً) على تقليد أبنـاء آدم ورفع مستوى هذه الحيوانات في الأداء التمثيلي لا يعني فـي حقيقتـه إلا شـيئاً واحداً وهو حنين الإنسان بالعودة إلى أصله ، تحت وطأة عقدة الـنقص ، والـشعور المرضي بالإغتراب !

علّق نوري : هذا رأي يستحق التأمل والمناقشة .

الاثنين ٨/١١

.. فى حجرة أدموند. إنزوينا فالح وعامر وأنا . عب الجميع أقداحاً مترعـة من (رحيق النعناع) ، فى جلسة فريدة من نوعها ، أعدت سلفاً لمواساة السيد النفـاخ والتخفيف عن آلامه النفسية المبرحة ، عقب عودته من الموصل خائباً ، محبطـاً لأن حبيبته خطبت ، وستنتقل إلى حوزه رجل آخر .

قال الراوي : حيال وجع الأفئدة وعذاب القلوب لا نملك غالباً في مواجهة هذا الشقاء إلا (الذرائع) ، باستخدام منطق التبرير لعلنا نجد فيه العـزاء أو نخفـف مـن وقـع الصدمة المفاجئة.

فالأمهات والحكماء وعقلاء القوم يجمعون على أمر واحد ".. إن الـدنيا لـم تنته وأمامك الحياة بطولها وعرضها ، وسوف تلتقى بمن هى أجمل مـن الأولـى .. وسوف تحب مرة أخرى " ..

أو "إن كل شئ قسمة ونصيب " .. وبهذه الخاتمة (القدريـة) أو الجبريـة ، ينتهي الكلام وتفض المجالس .. فيما يبقى (العاشق) شقيّاً ..

.. وربما تتكثف المسألة وتأخـذ طـابع (الحكمـة) ، باسـتذكار القـصص وضروب الأمثال التي تلتقي فى النهاية عند قيمة (الصبر) وفضيلة (النسيان) والقبول بالفجيعة أو ما يسمى بـ (الأمر الواقع) .

.. وهكذا تتضاءل ثقافة الإرادة والحرية والاختيار ، لنكتشف أنهـا محـض نصوص نظرية جافة مفارقة للواقع ، تحت وطأة الأعـراف والتقاليـد الاجتماعيـة الراسخة ، مما يتعين على (العاشق المكلوم) أن يمتثـل لهـا ويـسلم بأقـدارها ، أو يضرب (رأسه) بأقرب جدار .

.. ولأن (التجربة ذاتية) تشيع هزائمها وجراحها فى الروح والنفس والذاكرة، فإن معالجتها لابد أن تتم من (داخل) – الموجوع – وليس من – (الخارج) ..

الخميس ٨/٢١

بصحبة الخال عبود ، نزلنا (الحبانية) ، خالد حبيب وأنا خضنا مياه البحيـرة الدافئة ، هرباً . من قيض مريع ينفث حمماً وناراً كما الجحيم ، قيل تجاوزت درجـة حرارة اليوم الخامسة والخمسين فقد أفاقت العاصمة في الـسحر العميـق ، بعـد أن التهبت الأجواء زادها كثافة خانقة من الرطوبة، ففرّ الناس إلى السطوح والـشوارع يبحثون عن نسائم ندّية ، وانتظروا طويلاً تحت المياه دونما جدوى ، فقد طلع الفجـرُ

جافاً وبدا عسيراً .. وها هي الشمس من موعد شروقها حتى غروبها ليست إلا كتلة من لهب مستعر يشوي الوجوه ويذيب الأجساد ، .. مما دفع النـــاس فـــي بغــداد أن ينزلوا النهر أسراباً وجماعات اكتظت بهم ضفتا دجلة ، وامتلأت الشواطئ فى الكرخ والرصافة ، وهم يحاولون نيل قدر يسير من الاستجمام .

.. اقترح الخال فانيا ، أن نبتعد عن تناول المــشروبات الغازيـــة أو الميـــاه المثلجة لأنها تزيد من حرارة الجسد ، واستبدالها بالشاي الساخن .أمــضينا ســاعات النهار عائمين فى البحيرة ، لم نبارحها إلا لماماً ..عدنا إلى بغداد فى الحادية عــشرة ليلاً بعد أن تناولنا وجبة من (الكباب) الشهي في أحد مطاعم الفلوجة إذْ يّعد مثل هــذا الضرب من الأطعمة أحدى مشهوراتها السياحية .

الاثنين ٩/٧

.. لم يزل السيد النفاخ تائهاً ، لم يفق من صدمته بعد. جاءني فـــى الظهيـــرة مهموماً ، وملتاعاً .. سألني : ما العمل ؟!

.. اقترحت عليه أن نتمشى فى الأعظمية قليلاً .. ثم استرحنا ساعة زمن في مقهى العروبة .. ارتقينا الحافلة إلى باب المعظم فى طريقنا إلى الـــسينما ، إلا إنـــه عدّل عن رأيه فى اللحظة الأخيرة ، وأومأ إلى الحافلة المتجهة إلـــى (المنـــصور) ، فآوينا إليها فى طريقنا إلى (أدموند) ، الذي ما إن لمحنا حتى خف مقبلاً يفـــتح بـــاب الحديقة هاتفاً : (.. كنت قبيل قليل قد عزمت المجئ إلى الأعظمية) ..

.. إنتبذنا ركناً فى الحديقة وإنضم إلينا وليم هاشاً باشـــاً كعادتـــه المحببـــة .. تناولنا (القهوة) ، والتمس السيد النفاخ من أم أدموند أن تقـــرأ لـــه (الفنجـــان)؟!! .. ولعلها أدركت بحسها الأمومى أنه لا يعّول على أمر كهذا ، ولكنه بحاجـــة إلـــى أن يسمع منها ما يخفف عنه وجعه أو يواسيه ..

.. وخرجنا بعد حين من دار أدموند ، والسيد النفاخ أفضل حالاً ..

وقلت له مازحاً : " ما رأيك أن نتجه الآن إلى (المّلا جواد) .. ليعـــدّ لـــك

(حجاباً) مباركاً ، ما إنْ تحمله حتى يبرؤك من أسقام العشق ، فتعود نفسك القلقــة ، إلى حالتها الأولى (راضية مطمئنة) ؟!

.. ضحك عامر وقال معلقاً ، الأُولى أن تنصحني أن لا أخــرج مــن بئــر الحرمان ، ولا أشفى من أوصاب (العشق) ، أو آلام الفقدان ، فالتجربة مهما بلــغ الوجع المضني فيها ، تجعلني (إنساناً) آخر ، أحّيا وأفكر وأعانّي ، أتخطى تكــرار الأشياء والكلمات ، ولعلي أقترب اليوم ، أو في الغد من مرآة الذات ، فأكتشف العالم من حولي .

وبدا السيد النفاخ لأول مرة متفلسفاً ،.. ومضينا نحو حافلة الركاب خفافاً قبل أن تفلت منا .

راوة – الثلاثاء ٩/٢٩

أمضيت ثلاث ليال فى القرية ، لم أبرح بستان جدي ، إلا فى الأمسيات ، ما بين المقهى (الغربية) ، والاسترخاء بالقرب من ناعور (شكرة) ، فلطالما شاقني إليــه نداؤه العذب الشجي . الذي يعيدني إلى ربيع ١٩٥٩ حيث أمضيت سنتين إلى جواره فى دار العم مطنى ، عندما إضطرتني الظروف السياسية آنذاك أن أرحل عن بغداد. هرباً من فوضى العاصمة وصخبها العاصف الذي وصل إلى حد الجنون .

الجمعة ١٠/٢

العودة إلى بغداد

مساء فى مقهى العروبة مع عامر .

.. أعدت قراءة ديوان : " ناظم حكمت" .

الخميس ١٠/٨

كتب إبراهيم حافظ من (باكو) ينبؤني بعودته إلى الوطن فى الربيع القادم :

العزيز ستار : تحية ومودة

أشياء كثيرة تدعوني للحديث عنها ؛ الصداقة ، والغربة ، وجماليات البلــدان

السوفياتية ، والنساء الفاتنات فيها ، لكن الأهم من ذلك لقاءاتنا في بغـداد ، أفتقـدك كثيراً ، وسأكون إلى جوارك في آذار ١٩٦٥ .

وحتى نلتقي ، لك كل الحب .

مساء واصلت قراءة مسرحية "الذباب" لسارتر .

يستعيد النص موضوعة الحرية ، وموضوعة الوعي الفردي ، وبهذا المعنى ، تمثل الذباب للمسرح ما تمثله (الغثيان) للرواية ، كمـا أن (الجلـسة الـسرية) تناظر الجدار ، عالم من أسرى عاجزين عن ممارسـة حـريتهم ، لأنهـا تـصطدم بوجدانات أخرى . " الجحيم هم الآخرون " ، وجان بول سارتر إذْ سيهجر الأساطير والمجازات ، سيتجه نحو مسرح المواقف العينية التي تتصل بالتأريخ الحديث ، وذلك في (موتى بلا قبور) – التي سبق أن رأيت عرضاً مدرسياً لها برفقة خالد حبيـب على قاعة معهد الفنون الجميلة – التي تعالج مشكلة التعذيب .

السبت ١٠/١٠

باشرت الدوام فى السنة الثانية بقسم الفلسفة .

الثلاثاء ١١/١٢

سفرة قسم الفلسفة إلى "الأخيضر" !

.. لعل الشئ المهم الذي ينبغي تسجيله فى هذه الرحلة ، هو الوقـوف علـى القيمة التاريخية التى يمثلها حصن الأخيضر .

.. وهو الأمر الذى يحرص عليه الدكتور كامل الـشيبي الـذى يعـد الأب الروحي لعموم طلبة الفلسفة ، فى الاعداد والاشراف والمتابعة للأنشطة الاجتماعية ، ومنها السفرات (العلمية) والترويحية .

فالشيبي يتولى بنفسه شرح وتوثيق أو تأصيل المشاهد الأثارية ويحدد بخبـرة عميقة مواقعها المهمة ، ويشير إلى وظيفتها التى أنشئت لأجلها .

.. الأمر المهم الآخر ، أن سفرة الأخيضر منحتنا فرصـة التعـرف علـى

زملائنا وزميلاتنا من طلبة السنة الرابعة فلسفة وهؤلاء :

سعاد توفيق أركان .

أميمة محمد الشواف .

إقبال ..

قيس الحيالي .

منعم عبد الكريم .

أحمد بهية .

وغيرهم.

.. عقدنا حوارات شبه متصلة فى طريق الذهاب والعودة وعلى مائدة الغــذاء وفى الحافلة حول قضايا فلسفية واجتماعية ، واتفقنا أن نواصل الحوار فــى الأيــام التالية .

.. كانت السفرة بكل المقاييس فى غاية المتعة !

الاربعاء ١١\١٣

الخميس ١١/١٤

.. أكاد أضيق ذرعاً بمحاضرات الفلسفة الإسلامية أي بالطريقة الملائية التي تقوم على (الحفظ والتلقين) ، إذْ وجدت أن لا معنى لكل هذه الشروح المستفيضة ، والتعليقات الطويلة . هل يعقل أن ابن سينا تناول مباحثه بمثل هذا الأسلوب الجــاف المطول ؟! حاولت إلقاء هذا السؤال على الدكتور جعفر آل ياسين ، الذي غالبــاً مــا يسترسل فى محاضراته (قارئاً) النص من (دفتر) أو (ملزمة) ، وهــو يفــيض فــى شروحاته وهوامشه عن حياة الفلاسفة المسلمين وقد يمضي علينــا فــصل دراســي بالتمام والكمال ونحن في وادٍ سحيق سارحون إلى حد الغياب بعضنا تأخذه سنة مــن

نوم ، والآخر يتثائب ولا نسمع إلا تفاصيل مملة عن السيرة الذاتية لهذا الفيلسوف أو ذاك . دون أن نقترب من بنائهم الفكري أو نتعرف على مواقفهم الفلسفية .

على أن للدكتور جعفر رأياً آخر ، وهو أن الترجمة الشخصية لحياة أيّ من هؤلاء الفلاسفة ، هي المفتاح الأعظم للتعرف على فلسفته ، باعتبار أن البيئة التى ينشأ فى ظلها والظروف التى تحيط بحياته ، تحدد قسماته الفكرية ، وتؤثر في منهجه ، بوصفها جزءاً من نتاج مجتمعه ... فيما كنتُ أتوق إلى معرفة البانوراما السينيوية التي مازالت بعض جوانبها الفلسفية غير معروفة بالقدر الكافي من ذلك الذهن الكلي، فأبن سينا ، عالم إجتماع ، وسياسة ، والمتصوف والطبيب وأخيراً منظّر الموسيقى.. وكيف إستطاع هذا الرجل أن يفهم أرسطو ويتمثل كتبه إلى الحد الذى جعل روجر بيكون يعتبره أول من أعاد تسليط الضوء على فلسفة أرسطو ، حتى أصبح إسماً مألوفاً لدى جميع فلاسفة القرن الثالث عشر في الاكاديميات الأوربية ، ولئن عده البعض من هؤلاء خصماً ، فهو خصم جدير بالاحترام .
ترى متى نتعرف على عقل ابن سينا ؟! .

الأربعاء ١١/٢٥

زيارة ميدانية إلى محكمة الأحداث فى منطقة (العيواضية) – قرب الجسر الحديدي ، وتأتي الزيادة كجزء من الجانب العملي والتطبيقي لمادة علم النفس ، في موضوع : " دوافع سلوك الفرد"! شهدنا عرض ثلاث قضايا في المحكمة :

الأولى : المتهم فيها حدث قتل ابن عمه خطأ ، عندما كان يهم قتل (خنزير) كان يعبث بأرضه الزراعية .

القرار : حكم عليه بـ (٦) ستة أشهر .

الثانية : اعترف حدثان شقيقان بأنهما قتلا أمهما (غسلاً للعار) بعد أن شاع أمرها بين الناس .

القرار : حكم على كل منهما بالسجن (٥) خمس سنوات .

الثالثة : ضرب أفضى إلى الموت تم تأجيل القضية لعدم اكتمال الإجراءات التحقيقية .

..دار حوار مع السيدة (؟) رئيسة المحكمة ، التى تحدثت عن طبيعة الدوافع المختلفة لهذه (الجرائم) ، ونعن رقعتها الجغرافية ، والمستويات التعليمية والطبقية .

".. فكل جريمة تحدث لها ظروفها وأسبابها ، فيمـا تنـشط فـى المنـاطق المكتظة ، خاصة الأحياء الفقيرة وفى الآسر المفككة ، والمضطربة .. وكـذلك فـى الريف . ومعظم الجرائم تحدث بين الذكور !

فيما نوهت رئيسة المحكمة بأن (الوقاية) من الجريمة ، مسؤولية تـضامنية بين الأسرة والمدرسة ، فالتواصل بين الطرفين له أهمية بالغة في التنشئة والإعـداد والتربية والتوجيه .

.. وأن حاجة المناطق الريفية إلى ذوي الاختصاص التربـوي والاجتمـاعي بوصفهم مرشدين قد يسهم كثيراً في إنخفاض معدلات الجرائم ويحدّ منها إلى جانـب أهمية البرامج الإذاعية التربوية في عملية الوعي والتنوير .

الخميس ١١/٢٦

حديقة كرادة مريم :

تساءلت أمل : ترى فى أي من المنازل نحن الآن ؟!

أجاب الراوي : " في البدء نزلنا كوكب الهوى شـتاء ١٩٥٥ كـان صـوتاً بصوت وجواباً تلاه قرار .

ثم زمن الشوق الذى تبادلنا فيه الكلمات القصار ، والجمـل المتسارعة كما ضربات القلوب .

وأتى من بعده منزل الحنين وكان قرباً رقيقاً (١٩٥٧) .

ثم جاء زمن الحب وهو أول الألفة ، الذى استحال شغفاً ، فتمنـى كـل

واحد منا أن لا يفارق رفيقه ، فصار وصالاً مستمراً ولقاءً مستديماً (١٩٥٨) .

وتلاه الغرام امتزجناً معاً ، تعلقاً لا يّود أحدنا الخلاص منه.

ثم العشق وهو (الذوب) !

.. فأتينا مقام (التيّم) (١٩٦٤) فتوالت الأحوال والمقامات.

الولـــع ، الـــشجن ، اللوعـــة ، تبـــاريح الهـــوى ، الجـــوى ، الكمـــد، الوجد ، الوله ، الكلف ، المكابدة .

قالت أمل : هذه المراتب التى تقلبت الأفئدة على نيرانهـــا بعـــد أن إتحـــدت العقول والأبصار ، جعلتني أحيا فى عالم قائم بذاته مفارق للعالم الـــذي يعـــيش فيـــه الناس ، فأنا بين رحيق الوصال وسعير النأيّ . ترى هل ثمة منزل آخر ينتظرنا ،؟!

أجاب الراوي : : بلى

فتساءلت : ما هو ؟!

قال الراوي : الجنون !

الأحد ١١/٢٩

محاضرة فى المنطق الرياضي ، جاء فيها :

المنطق الرمزي أو الرياضي هو عملية متقدمة لتطوير المنطـــق الـــصوري التقليدي ، لأنه يستبدل اللغة بما تحمله من معان متعددة برموز كتلك التى تستخدم فى الرياضيات مثل : س وص والعلاقات المنطقية .

ومثل مفاهيم : يساوى وأكبر من واصغر من ، مما يمنح التعبير عن الأفكار مزيداً من الدقة والإيجاز وقد حاول أحد المناطقة المحدثين أن يحدد خصائص مميزة للمنطق الرمزي منها :

يتميز المنطق الرمزي باستخدام الرموز العقلية التـــى تـــشير مباشـــرة إلـــى التصورات .

مثال : الرمز الدال على عملية الضرب (×) أو علامة الاســـتفهام (؟) فهـــي

كلها رموز عقلية .

يتميز المنطق الرمزي أيضاً بالمنهج الاستنباطي (الاستدلال) ، وميزته القدرة على توليد عدد لا حصر له من الأحكام الجيدة والباهرة من عدد صغير من الأحكـــام عن طريق تطبيق عدد محدد من القواعد .

قبيل إنقضاء المحاضرة وجه فالح إستيضاحاً إلى الدكتور ياسين خليل :

" .. لا أشك أن بإمكانك يا أستاذنا أن تمـــنح هـــذه المـــادة الجافـــة بعـــض (الطراوة) ، التي تجعل منها موضوعاً قابلاً لفهم وتمثل (رمزيته) و(إشارته) "

أجاب الأستاذ : " إنا لله وإنا إليه راجعون .. ولا حول ولا قوة إلا بالله " ..

واصطفق الباب وراءه ومضى !

انخفضت حرارة الطقس بمعدل درجتين تحت الصفر إثر موجة البرد التـــي بدأت منذ يوم الخميس الفائت .

الخميس ١٢/١٠

بإشراف الدكتور كامل مصطفى الشيبي اتجهت حافلة نقل الركـــاب وعلـــى متنها قسم الفلسفة إلى الحلة. مروراً بـــ (سدة الهندية) ، والطواف بين آثـــار مدينـــة بابل ومعالمها الأساسية ، بوابة عشتار ، شارع الموكب ، المنصات ، أســـد بابـــل .. وقد أفاض الدكتور الشيبي فى شـــرح معـــالم المدينـــة وطبيعـــة طقوســـها الدينيـــة والاجتماعية ..

تقع المدينة القديمة على شاطئ الفرات ، .. قيـــل : إن (آدم) نفـــسه بعـــد خروجه من الجنة ، وكذلك (قابيل) و(هابيل) كان مقامهم في بابل .. وقال بعض المؤرخين العرب ومنهم الطبري : " بأن أول مدينة بنيت في العالم هي : (حران)، والثانية : (بابل) .

وقيل : " إن الله فرق أبناء (نوح) في الأرض من بابل ..

وقيل أنها أيضاً : كانت مقام (النمرود بن كنعـــان) وهـــو أول مـــن ملـــك

الأرض ، وفي عهده جيء بـــ (إبراهيم الخليل) إلى بابل وهو بعد طفل صـــغير ، فعاش فيها ، ثم رحل عنها ، بعد أن تزوج فيها ، ويذكر أبـــو الفـــداء فـــي تأريخـــه "وببابل ألقي إبراهيم الخليل في النار " . وكانت بابل مقر (نبوخـــذ نـــصر) الـــذي دخل بيت المقدس فاتحاً ، وجلب اليهود أسارى إلى مدينته .

وقد درج الكتاب العرب على إطلاق اسم بابل على مدينة (بابليون) (*) وبلاد (بابيلونيا) على السواء .

وتقوم أطلال المدينة على بعد (٥٤) ميلاً جنـــوبي بغـــداد تمامـــاً ، علـــى طريق: (بغداد – الحلة) ، .. وأن المدينة الأصلية قد دمرت على يـــد (الفـــرس) قبل الفتح الإسلامي بزمن طويل .

.. قال الشيبي : السبب في إضطراب المعلومات عن هذه المدينة ســـواء مـــا تعلق بحضارتها أو تأريخها ، يعود إلى عدم وجود مراجع محققة في هذا الموضوع، سوى القصص الواردة في (العهد القديم) والأخبار التي رواها بعـــض المـــؤرخين الإغريق من العصر القديم ، وقصص البطولة الشائعة في القرون الوسطى التي نقلها أناس ينقصهم الإطلاع الكافي .

ولم تكتشف الحقائق الصحيحة عن هذه المدينة إلا بوصول علماء الآثار إلى أطلالها في أوائل القرن التاسع عشر ، وقد ألقوا الضوء على عدد لا يحـــصى مـــن اللقى والتحف والأواني الفخارية ، من بينها ألواح مكتوبة بالخط المـــسماري ، ولمـــا حلوا رموز هذه الكتابات تكشفت الكثير من الحقائق بالفعل ، وبدأت مديريـــة الآثـــار العراقية وقسم الآثار في جامعة بغداد بمعاونة خبراء بآثار وادي الرافدين ، بـــرامج منظمة في التنقيب والحفريات ظلت قائمة إلى يومنا هذا ، وأياً كان الأمر فإن الجنائن المعلقة إحدى عجائب الدنيا السبع هي من أعظم منجزات هذه المدينة في عـــصورها

(*) وتسمى أيضاً بابليون مدينة في مصر تحمل ذات الاسم كانت قائمة في القـــرون الوســـطى علـــى مقربـــة مـــن موقع القاهرة الحديثة .

أنظر دائرة المعارف الإسلامية ، ج٥ ، ص٥٥٣

الحضارية الزاهرة وكذلك (شارع الموكب) وأن أول بيت للإقامة عرفته الإنسانية على سطح الكوكب الأرضي شيد في بابل .

.. وفي هذه المدينة أيضاً سن إنسان وادي الرافدين أول الدساتير والقوانين ومن عقل هذه المدينة العريقة صدرت الأبجدية الأولى في تاريخ العالم .. وظلت بابل (عاصمة) الحضارة الإنسانية الرائدة ، أسس (حمورابي) عظمتها لأجيال متعاقبة ، إلى أن أصابها الدمار في عهد (سنحاريب) ، ثم أعيد بناؤها ، وازدهرت مرة أخرى في عهد (نبوخذ نصر) .. وانطفأت أنوارها وخبت شهرتها بعد استيلاء الفرس عليها (٥٣٨ ق . م) .

.. وعقب مضى أربع ساعات بين آثار المدينة وأطلالها ، وبعد أن التقطنا العديد من الصور التذكارية أمام بوابة عشتار وجوار (الأسد البابلي) ، انتقلنا إلى (كازينو) تطل شرفاته على الفرات تناولنا فيه الغذاء بناء على رغبة الطالبات ، باعتباره مكاناً شاعرياً على حد قولهن .

الخميس ١٢/١٧

مساء قراءة اغسطين فى كتابه :

" مدينة الله " التى يحاول فيها الأب اللاتيني أن يجد (الخلاص) الروحي بالعودة إلى (المسيحية النقية) ! بعد أن أنهيت في العالم الفائت واحداً من أشهر أعماله (الاعترافات) ، حيث عاش في سنيّ شبابه حياة منحلة لاهية ، أورثته ندماً شديداً وتسنى له أن يواصل دراسته ، وفق أمنية أبيه وارتحل إلى (قرطاجة) حيث تردد فيها على مدرسة البيان والبلاغة بدون أن ينسى مباهج المسرح وألعاب السيرك التي كان مولعاً بها أشد الولع ، وتعرف إلى فتاة من أسرة وضيعة فرافقته على مدى إثنى عشر عاماً وأخلص لها ، كما لو أنها زوجة شرعية .

وقد رزقا إبناً دعواه (أديو داتسى) – هبة الله – ووقفا كل عنايتهما على تربيته ، .. وكشفت له قراءة (هورتنسيوس) لشيشرون عن دعوته الفلسفية ،

ويومئذ شغف شغفاً منقطع النظير بجمال الحكمة الذي أشرق في عقله ، وتأدت به دراسة الحكمة الوثنية إلى الإطلاع على (المسيحية) ، فقرأ الكتاب المقدس ، ولم يفهمه ، فخاب أمله ، وانتمى متردداً إلى (المانوية) ، وكانت آنذاك من الفرق النصرانية التي لا يحصى لها عدد في زمانه .

وقد تحكم سببان في اختياره :

- إستحالة قبوله بإيمان مفروض ، غير مبني على العقل .
- مسألة السّر التي ستشغله طيلة حياته .

ولما أنهى دراسته انصرف إلى تعليم الخطابة ، وإلى نشر المانوية وجمع حوله عدداً من التلاميذ .

.. ووجدت في أعسطين سواء في الاعترافات أو مدينة الله نصوصاً خطابية بليغة ، تقترب أحياناً من المواعظ ، ولكنها صادقة وحارة ، تحلق في السموات العلى بأجنحة من نار كما يقول جيوفاني ، .. وأن أروع وأعظم ما أنجزه هذا الإنسان القديس هو التجربة العميقة الداخلية ، وشجاعته الفريدة في مواجهة الذات .

١٢/٢٠

عاد إلينا بعد غيبة طويلة حازم عبد الجبار المدلل ، الكرخي العريق مولداً ونشأة وروحاً ، والطالب في الآداب/ السنة الثانية – قسم الاجتماع . في حوالي الخامسة والعشرين يميل إلى القصر ، أصلع ، وجه أبيض مستدير ، تلقائي ، مرح ، شديد الاعتداد بنفسه ، تحسبه قبل أن تتعرف عليه : صارماً متعالياً ، متجبراً ولكن ما إن تقترب منه وتعايشه حتى تكتشف شخصية ودودة : نحو : البساطة والتواضع والوداعة ، برغم من ميله الاستعراضي في الكلام والمشيّ وطريقة الجلوس ، وقد استقر في ذاكرة كلية الآداب إنطباع إلى إنه إنسان صعب المراس شديد البأس ، فقدّ اعتبر أحد الشقاة (*)ممن يهاب جانبهم ويحسب لهم ألف حساب ، ولهذه الأسباب

(*) الفتوات .

وغيرها ، فأن حضوره بين الطلبة كان بيّناً وقوياً وهو دقيق فى اختيار ملابسه ، أنيق فى مظهره وقد أضفّتْ صلعته الناصعة الملساء قدراً من المهابة على شخصيته ومجالسة حازم والحديث معه متعة بالغة ، بين الجدّ والهزل ، والحوارات المعمقة والصخب المحبب ، وهو قومى ناصري حتى العظم ، لا يساوم على مبادئه ولا يهادن أحداً فيها ، لكنه أيضاً صديق لكل التيارات الفكرية والسياسية ، بعثية ، وشيوعية ، وإسلامية وقد عاد أخيراً إلى شلة الأنس(*) بعد أن إفتقدناه كثيراً .

الخميس ١٢/٣١

المنصور

فى الثانية عشرة مساءً ، رفع السّيد النفاخ قدح **(النعناع)** ، منادياً :

" أيها الأصدقاء ، هانحن نستعيد لحظة العام الفائت ، ذات الموعد . ونكرر التمنيات نفسها ، مفردات نعيد سحقها تحت أسنانها ، كالنجاح ، والتوفيق ، والصحة ألخ ترى هل نواصل إنشغالاتنا فى السنة الآتية (فى التو **واللحظة)** بنفس الأماني والأحلام ؟!

.. الساعة الواحدة صباح يوم ١٩٦٥/١/١ ، ألقى أدموند الموعظة التالية :

" .. أنظروا ما حلّ بنا ؟!

نجحنا فى الدرس . وأخفقنا فى الحب .

بل لقد هزمنا شر هزيمة ، لم يظفر أيٌّ منا بما أراد أو رغب وتمنى ! كل واحدة من الغيد الحسان علقت مصير العلاقة على شماعة الأخطاء المتبادلة .

بل أن واحدة منهن ، كانت تملأ قلبك بعبارات الشوق والهيام ولكن عينيها هناك تدور فى عوالم أخرى وتحت سماء غريبة .

(*) شلة الأنس والوفاء عميدها فالح حسن قرة على ، وعضوية ، أدموند جميل ، عامر عبود النفاخ ، عبد الستار الراوي ، خالد خليل ، بدران خليل غزال .

تذكروا أن لكم قلوباً طاهرة ، ونفوساً بريئـــة فـــلا تأخـــذكم الغيبوبـــة ، ولا تصدقوا معسول الكلام . فليبارك الإله أيامنا الآتية ، :

ورغم كل الذى قلته عن تلك الفتاة ، فأنه يبقى كلاماً عائماً ، لا يمّس الجرح العميق الذى أحدثته فى قلبي تلك الناقة الحسناء التى أكاد أذوب شوقاً إليها الآن !

.. كاد فالح أن يستغرقه النوم ، بعد أن أغمض عينيـــه ، لـــولا أن لـــسعت السيجارة أصابعه ، فانتفض وصحا ثمة غنى مقام الصبا :

كنت أُسقى وأُغنى

صرت أَسقي وأغني

وقال شارحاً البيت اليتيم :

حالنا الآن كما الناعور الدوّار.

كان فى البدء شجرة ظليلة تسقى بالماء ، فيأوى إليها المحبـــون والعـــشاق ، يقرض أفياءها الشعراء الهائمون ويغنى لجمالها المنشدون الحالمون .

.. وبعد حين من الدهر إقتلّعت الشجرة ، فصنع الناس من جـــذعها الباســـق ناعوراً.

ولو أن أحداً إقترب منه وأصغى إلى صوته لأدراك بأن للناعور أنينا حانياً ، بعد أن تحول إلى محض ساق ومغني ، ذات الدورة الزمنية المستمرة فـــي حياتنـــا ، وأن كانت تجرى بطريقة تتصرف إلى حال الإنسان الذى لابد مـــن أن يمـــر بعـــدة مراحل عمرية متتالية إلى أن يشيخ ويهرم ، ثم يذوي ويموت .

ترى إلى أين سنمضي بأحزاننا ، وإِلاّم تحتمل أرواحنا كل هذا الشقاء ؟! هل هو الحب الذى ترك كل هذا القدر العظيم من الشعور بالذنب ؟! حتى أصابتنا التعاسة إلى حدّ الالتياع .

.. إلتقط وليم الحديث :

" .. نعم العراقيون عاطفيون إذا تحدثوا أشعروا

وإذا (قرضوا الشعر) حنّوا

كما الحمام ، ومع الحنين
تحلّ (المراثي)
فيتواصل (النواح)
ويعم القلب (البكاء) .
فالبهجة المفترضة في طقس الأعياد قد تستحيل دراما .
والفرح يصير حزناً ..
والحب الذي هو أعظم حدث في وجود الإنسان ينقلب إلى أسقام ..
لماذا كل هذا الإيلام للنفس ، وتعذيب الذات ؟!
فالعاطفة العراقية تصل في تألقاتها إلى حدّ الفناء في الأخر .

١٩٦٥

الأحد ٣/١

.. قراءات متتالية بين الفلسفة والأدب ، أمضيت الظهيرة حتى الخامسة فـــى مكتبة (مكتبة الكلية) ، واستأنفت القراءة ثانية بعد الثامنة مـــساءً فـــى البيـــت ، فـــى محاولة الانقطاع عن ضجيج العالم ، والرتابة اليوميـــة ، والابتعـــاد عـــن مداومـــة الجلوس فى المقهى ، التى تكاد تنقلب إلى عادة مرضية .

.. القراءة المكثفة ، والعزلة ، التأملات ، تفضي إلى اتساع الذات ، أو كمـــا يقول نيتشة : " .. العزلة تشفي الإنسان من الأوصاب ، وتشدّ من عزمه " .

الجمعة ١٥/١

.. عندما أتأمل فلسفيات السيد النفاخ وقدرته الهائلة علـــى إلغـــاء معـــضلة الاكتراث وتأويلاته العبثية للحياة والوجود والمصير والموت .

فأني أعجب من مكابداته العاطفية ..

فعامر ليس هو المخلوق البسيط الذي يبدو عليه ، إن هذا هـــو فقـــط عقلـــه الواعي كما يقول فرويد ، فتحت هذا العقل حشد من ينابيع متدفقة لا حصر لها مـــن الوعي الباطن ومن العقل الغزيري ، الذى لا نعرف عنه كثيراً حتى الآن إلا الـــشئ المتواضع جداً ؟! ..تنقلت مساء اليوم إلى (باسكال) بعد أن كنت كرســـته بالكامـــل لـــ (هيجل) ، يوصف بليز باسكال بالفرادة ، فهو شاهد فريد على زمن فريد يتمثل بالعصر الكبير للنهضة الفرنسية في النصف الأول من القرن السابع عـــشر ، وهـــو ناقد لاذع ، بليغ العبارة ، سليط اللسان ، شديد التقريع والسخرية ، وهو كاتب مبدع، ومفكر لا يضاهيه إلا قلائل ، إنسان يخاطب قلب كل إنسان .

الذي شدني إليه ليس كشوفاته الرياضية ولا إهتداءه إلـــى القـــضية الثانيـــة والثلاثين في كتاب إقليديس الأول ولا محاولته في (المخروطيات) ، رغـــم أهميـــة هذه المنجزات العلمية في عصره ، ولكن هذا التدفق الوجداني والفلسفي فـــي مؤلفـــه

الرائع : (الخواطر) ، إبتداء من مساجلاته العنيفة مع بعــض رجــالات اللاهــوت مروراً بخصوماته الأكاديمية في (السوربون) ، ودعوته إلى إقناع (الزنادقة) ؟!! وحمل المسيحيين على ممارسة (الإنجيل) ، وانتهاء بخطبه الثلاث المثيــرة التــي ألقاها حول وضع (العظماء) ، إذْ كادت طبيعته الجامحة أن تدفع به إلـــى التمــرد على إرادة (الحبر الأعظم) .. لكنه ما لبث أن هدأ ونفض يديه من كل الخصومات الدينية والدنيوية ، ولم تعد له مذاك فصاعداً رغبة إلا في أن يعيش في الفقر والمحبة والعذاب والصمت ، كيما يستحق كما قيل " الملكوت الذي سيكون فيه الله هو الكــل في كل واحد " . وكانت كلماته الأخيرة لحظة الرحيل الأبدي في ١٦٦٢/٨/١٧ عــن تسعة وثلاثين عاماً :

" أرجو ألا يتخلى عني الله أبداً " .

.. هذا العبقري الذي لم يصل عمره العقد الرابع ، الذي خلــق فـــي الثانيـــة عشرة : الرياضيات ، وكتب في السادسة عشرة : رسالة في المخروطيــات ، هـــي الأكثر أهمية علمية منذ العصور القديمة ، واختزل إلى آلة في التاسعة عشرة علمـــاً كان كل وجوده في الفهم ، وبرهن في الثالثة والعشرين على ظاهرات ثقالـــة الجــوّ وهدم واحداً من أفدح أخطاء الطبيعيات القديمة . وأكمل في ذلك العمر طوافه بدائرة العلوم الإنسانية . وفطن إلى عدمها وحوّل أفكاره إلى الدين .

ومنذ ذلك اليوم وإلى حين وفاته ، ألقى على الورق خواطر فيها شــئ مــن السماء بقدر ما فيها شئ من الإنسان ، هذا العبقري النابه ، الــذي عــده معاصــروه أعمق المفكرين الفرنسيين ، ادخل كما يقول برغسون : " إلى الفلسفة طريقة معينـــة في التفكير ليست هي العقل الخالص ، ولا هي التأمل الصوفي ، إنها طريقة فريـــدة الطراز تؤدي إلى نتائج قابلة للتحقق من قبل أيّ إنسان " .

الخميس ٥/٢

حديقة كرادة مريم :

الرابعة عصراً :

تعانق الظلان صارا واحداً ، طافا بين حقول الآس والرياحين . قطعا أروقة الحديقة لعشرات المرات جيئة وذهاباً يتناجيان ، تجاورا ثم إتحدا على الأريكة الخضراء ،

– .. أيّ الأجزاء فى الإنسان يصاب بالعطب أولاً ؟! .. القلب أم العقل ؟!

– الأثنان معاً ، ؟!

– العقل فى البدء . ويليه القلب !

– بل القلب هو الجهاز الأول :

قد يتوقف فجأة . أو يصيبه (الوهن) . أما العقل فيبقي يقظاً على الدوام وإلى آخر لحظة فى الحياة ، إلا إذا داهمته نوبة الصمت .

– ما الذى ترمين إليه بهذه المحاورة – المقاربة .

– أظن أن عقلي وقلبي متحدان متوافقان فالأول رمز الحكمة أما القلب فهو موطن الشجاعة وبهما ومن خلالهما بوسعنا أن نصل إلى حلمنا الذى ينتظرنا على ضفاف الشواطئ البعيدة .

قرءا معاً نص (العالم الكبير) .

" أين نخبئ سرَّ الحب الغالي ؟!

أين (نداري) همسات الوصل الناعمة وعناق الأيدي ..

.. وبوْح الآهات ؟!

وحنين خطانا إذْ نعدو جذلينَ إثر النجمات السبع ..

من بستان (البتاوين) حتى أرصفة السعدون ..

وجسر الملكة ؟!

في أي الأزمنة الراهنة ، الآتية ، ينشق بحر الظلمات ويميد الجبل الراسي ، كيما تولّد أعشاب الصيف ؟!

فيّقام في شارع غازي فرح العشاق الفقراء ..

لّوْ تعلم ؟!

ما حل بأفئدة العشاق ؟!

ساهرة أبداً ، ترقب نبض الخطوات .

مُذْ أن خلق الله الأرض ، الماء ، الضوء .

.. تنتظر أن يأتي الغائب

تفتح في القيلولة كتاب العالم :

قال الراوي : زمن العشق يتخطى الأوقات ،

لا يوضع بين (فاصلتين)

أو قوسين ..

إذ (لا أين) لمسرى النور ونبض الروح " .

* *

وانطلقا ..

– قالت : من يطوي الزمنَ ، أو يمشي فوق الماء ، فتأتيه الثمرات تسقط بين يديه ؟!، ..

– قال الراوي : عقل الإنسان النقدي ، الكاشف عن (سر) القانون الكلي للأشياء .

.. فاختلفا حول (اللاهوت والناسوت) !

قالت : أين نضع الحُلم . المستقبل؟!

قال : فوق خارطة (الممكن) ينمو (التوْق) للآتي ، حلماً في البدء ، بيتاً في آخرة الأمر .

.. وانطلقا !

السبت ٢/٧

العوالم الخمسة ، أو النوافذ الخمس التى تضئ كهف الإنسان الحبيس لدى وليم بليــك فى (عصور التأملات) :
يتنفس الهواء من إحداها .. ويصغي إلى موسيقي الكون من الثانية .. أما الثالثة فــإن خمائل الكروم الخالدة تزهر وتتألق لكي يتذوق ثمارها . ويمكن لهذا الإنسان أن يرى فى الرابعة أجزاء صغيرة من العالم النامى أبداً ويستطيع فى الخامسة أن يخـــرج ؟! إلا إنه لا يفعل ذلك ! لأن المتع المسروقة عادة ما تكون عذبة وذات جاذبية خاصة . والخبز الذى يأكله (سراً) لذيذ جداً .
.. إن بليك يحيل المعرفة إلى منظومة الحواس الخمس .
ولعل أسلوبه النادر في حفر كتبه بنفسه على النحاس يفصح عن ماهية مذهبه الفريد ، فهذا الفنان المبدع الذي خلف رسوماً مائية مدهشة حررهــا مــن نفــق المــسافات والزمن ، يعود مرة أخرى فيلسوفاً تتشابك في رؤيته روحانية عميقــة ، وتجريبيــة مباشرة ، فالخير الذي يسعى إليه الإنسان لن يتحقق إلا بشرط خوض تجربة الشر ،.
ويرى النقاد بأن شعر بليك ترك أثراً بليغاً في الشاعر العربي جبران خليــل جبــران خاصة في " أغنيات البراءة " ١٧٨٩ ، و" أغنيات التجربة " ١٧٩٤ .

الخميس ٣/١٢

ترى لم يتطلع الإنسان إلى الأمام ؟
بل وإلى ما وراء الواقع أحياناً ؟!
وقد يرنو نحو الكمال ؟!
أو الامتثال لما وراء الحاضر ؟!
من (الكائن) إلى (اليكون) ؟!

لم أتعب قلبه أفلاطون ، اغسطين . والفارابي .. وعشرات غيرهم فى البحث الـدائب عن (مثل متعالية) ؟!

كل هذه الأسئلة تدور فى عقول الكثيرين ، .. أحاول أنا وعشرات بل ومئات يجهدون عقولهم لتفسير عذاب محنة الامتحانات التى كثيراً ما تـؤرقني خوفـاً مـن مغبـة الإخفاق، أو الفشل . رغم يقيني الذاتي بأنني فى منجى عن هذا الاحتمالات .

لماذا إذن كل هذا الخوف الذي يحتلني قبيل وخلال الامتحانات ، بل يلاحقنى ويقـض مضجعي حتى أثناء النوم ، فأظل متوتراً ، قلقاً ، .. حاولت أن أجد جوابـاً خـارج دائرة الخبرة الشخصية، فلم أجد إلا جواباً واحداً وهو الخوف من هزيمة الذات ؟

من جهة أخرى: قد يكون السبب هو أن الإنسان يسير إلى الأمام تحت وطأة إحـساس النقص الذي يتملكه وهو نفس الشعور الذي دفع الإنسان من قبل إلى صنع سـقيفة ، وتكوين المجتمع نحو حالة شبيهة بـ (الكمال) فى عصره . وأحسب أن (اليوتوبيـا) فى صورها المختلفة ليست إلا محاولة لتخطي عيوب الواقع ، للانتقال إلـى حـال أفضل .

مسألة أخرى هي البحث عن المغامرة ، الشجاعة لتحقيق الانسجام (النظري) وأحياناً (التجريدي) و (الرمزي) بين التصور والتصديق وقد شغلتني فكرة (اليوتوبيا) زمناً طويلاً .

وأنا أحاول التقاط النصوص المتعلقة بالمشاريع والنماذج والإشارات فى أوراق الفكر والأدب . وفى رؤى وأحلام الشعراء والكتاب وأصحاب الأفكـار التنبؤيـة . ولعـل سلامة موسى رصد جوانب منها فى كتابه : "أحلام الفلاسفة" !

ويرى البعض بأن من بين أهم الدوافع وأكثرها فاعلية وحضوراً لـدى هـؤلاء هـو (القلق ألوجودي) . أياً كان صاحبه ، مصلحاً إجتماعياً ، أو داعية رسـالياً ، تلميـذاً مبتدئاً ، أو كاتباً روائياً ألخ ..

وقد تكون (الجمهورية المستقبلة) التي نشرها محمد صدقي الزهـاوي فـي أوائـل القرن العشرين واحدة مـن الكتابـات اليوتوبية الرائدة في الوطن العربي إن لم

تكن الأولى من نوعها ، والتي خالف في بعض الوجوه فيها جمهوريات عصره وما تقدمها على حد قوله ، وهذه الجمهورية مبنية عنده على المساواة بين الناس في الحاجيات ، مع بقاء التفاضل في (الجاه) و(المنزلة) وهي جمهورية طبيعية اقتبست من جمهورية خلايا الجسد (كالمركز العصبي والحركة ، وتوزيع الدم ، والتنفس ، والأعضاء .. الخ) وعلى غرارها تقسم الأفراد بحسب إستعدادها إلى أقسام وتعيّن لكل واحد وظيفته في القسم الذي يعمل به ، فلا يتعداها إلا إذا أثبت أهليته لما فوق ذلك القسم ، وتُلغى في النظام المالي لهذه الجمهورية قيمة النقود وتنزع العقارات من يد ممتلكيها، وتبطل وراثة المال ، ويُطعم الأفراد في مقابل العمل ، وتؤلف لجاناً لإحضار مواد الطعام ، وأخرى لتوزيع ما يحتاج إليه المواطنون من مؤن وثياب وشراب طبقاً لقدر حاجتهم ، ولا ضير من بعض الامتيازات المحدودة لذوي المنزلة والاعتبار ، وهذا الاستثناء لا يبقى المحذور الذي يورده المحافظون على الاشتراكيين ، في أن التساوي يميت الرغبة في الاختراع لمن لهم استعداد له ، فلا يبقى المحذور الذي يورده المحافظون على الاشتراكيين ، في أن التساوي يميت الرغبة في الاختراع والاكتشاف ، وليس هناك مانع من جعل طعام الفرد الراقي أكثر إتقاناً من طعام بقية الأقسام ، وثيابهم أظرف ، لأن المطلوب هو التساوي في الشبع على وجه لا يبقى معه جائع ، والجمهور لا يستاء من هذا الفرق لعلمهم بأهمية وظيفة هذا القسم الساهر على راحتهم .

ولا ضيّر في أن يكون (الزوج) في قسم و(الزوجة) في آخر ، وإلا كان الأمر مثالاً للتذمر والنزاع .. ويجري الزواج برضى الطرفين ، والفراق برغبة أحدهما ، أياً كان ، إذ لا يجوز أن يرتبط الإنسان بآخر وهو لا يطيقه أو يكرهه [*]

[*] راجع الزهاوي ، المجمل لما أرى ، ص٦ ، ٢٦ ، ٦٦ القاهرة ، ١٩٢٤ .
وانظر الدكتور ماهر حسن فهمي : الزهاوي ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

.. وفي إشارات بليغة نجد فكرة (المدنية الفاضلة) في التراث العراقي القـديم ، ففـي النصوص التي أوردها هنري فرانكفورت في كتابه (مـا قبـل الفلـسفة) (**) الـذى ترجمة جبرا إبراهيم جبرا مؤخراً ، بأن إنسان وادي الرافدين ، أبتدع فكرة (المجتمع الفاضل) في الحضارة الإنسانية ، وقد عثر علماء الـسومريات علـى لـوْحٍ تـشير نصوصه إلى اليوتوبيا منذ الألف الثالث قبل الميلاد ، ففي ملحمة (المركـار وبـلاد أواتا) يصف مقطع شعري منها : حالة السلام والرخاء التي عاشها الإنسان من قبل : " كان يا مكان ، في فترة من فترات الزمان ، أن لا وجود للافاعي والـسباع ، لـيس ثمة من رعب يخيف الإنسان بل أمن وسلام فـي عمـوم أرض (سـومر) ، أرض الشرائع السماوية ، كان العالم كله يعيش في (وحدة) يصلّي للإلـه (إنليـل) بلـسان واحد.. " (***) .

الأحد ١٥/٣

مناظرة فى موضوع العدالة ، بين طلبة السنة الرابعة والسنة الثانية فى قسم الفلسفة .

- العدالة طبقاً لما هو متداول وشائع بـين النـاس هـي (المـساواة) ولكـن كـلا (المفهومين) أي العدالة والمساواة يبدوان غامضين ، دون تحديد أو توصيف .

إذن ما العدالة ؟!

هكذا ألقت سعاد توفيق أركان السؤال . ترى هل تعنى المساواة بين الناس ؟! كيف؟! أقرت الأغلبية إلا أميمة الشواف ، التى ترى : بأن ما هو شائع ومتداول بين النـاس لا يعنى بالضرورة أنه صحيح أو نعتمده كحقيقة واقعة فنؤكده أو نتمـسك بـه ، وأنْ فعلنا ذلك ، فأننا نتخلى عن قواعد العلم العامة أي أننا نتبنى نتائج مـسبقة لـم يجـر فحص أسبابها أو مقدماتها .

(**) طبعة بيروت ١٩٦٠ .

(***) صمويل كريمر (من ألواح سومر) – ترجمة طه باقر – القاهرة ص ٢٤١ .

كذلك فإن الضرورة المنطقية تقضي أن ليس كل ما يعتقده الآخرون هو صحيح دائماً . فثة فرق قاطع بين الاعتقادات والتصديقات ، .

.. ولو افترضنا أن إطلاق عبارة العدالة مقابل المساواة ، فأننا بهذا التصور إنما نضع البشر فى خط واحد متكافئ فى الإمكانات والمعطيات ومثل هذا الأمر (المطلق) لاشك أنه خطأ فاضح بكل المقاييس .

أما على الصعيد العملي ، فإن العدل يقضي ويحتم أن لا تكون هناك مساواة مطلقة بين الناس . بعبارة أخرى : لا يصح مساواة العالم بالجاهل . وإلا نكون أوقعنا الظلم مرتين .

الأولى : تجاهل منزلة العلم .

الثانية : رفع حالة الجهل بحيث تكون مماثلة لنقيضها تماماً .

العدالة تعنى المساواة نعم ولكن حصرياً أمام القانون !

الأثنين ٣/١٦

كما الأيام الخوالي فقد تعانقت الأيادي ، واشتبكت أصابع الكفين بحرارة فأيقظت المكان ، الذي بدا حميماً ، وبهيّاً مشرقاً .

ذهاباً وإياباً قطعا (الجسر الحديدي) ، متجاورين بين النهر والسماء ، تحلق كلماتها فى حنايا الفؤاد " لقد برح به الهوي ، واسهده النوى .

.. المسافة بين الكرخ والرصافة ، كما المسافة بين قارتين .. لكن عبور الجسر يختزل الضوء والزمن ، يورق فى الأرض اليباب جناتٍ وبساتين ، وفي القلب الندى.

.. ماذا تقول الفلسفة عن الهجر والبعد ورحيل الأيام الحلوة ؟!

هل بوسع الحكمة أن تقدم لنا العزاء ؟!

قال الراوي :

" الحب أقدم الحقائق وافضلها ، فهو الذى يبعث فى الإنسان الأحساس النبيل وينمي

فيه الإيثار وروح التضحية " هكذا تحدث أفلاطون في (المأدبة) .
.. لكن الأمر الذي يفوق الأقوال النظرية ، هو (المعاناة) بوصفها تجربة ذاتية أولاً وقبل أي شئ ، لذلك فإن حقيقة الحب متوقفة على تفسير صاحبها ، فهو وحده الــذي بوسعه الحديث عنها ، ولذلك فإن الفيلسوف ابن حزم الذي أنشأ كتابه الرائع (طــوق الحمامة) ، يقول عن الحب :
" رُقِقَتْ معانيه لجلالها عن أن توصف ، فلا تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة " .
قالت : " بهذا النص الواضح لا يبقى من الكلام إلا الختام " .
.. واصلا السيّر ، إذ بدأ الشفق يعبث بالضوء ، فزعت فراشــات (الأزرملــي) ، طافت حول العينين الدافئتين ثم فرّتْ .. وتوارتُ .. ما بين العشب وسعفات النخل .

الثلاثاء ٣/١٧

ماهية الحرية !
في حوار فلسفي عقد فى حديقة قسم الفلسفة أثار قيس الحيالي (رابع فلــسفة) ســؤالاً عن ماهية الحرية ؟!
حدد خالد خليل الحرية بأنها : إرادة عاقلة ! وهذا يعنى بالضرورة أن ليس ثمة مــن حرية مطلقة .
وافق أدموند خالد ، وعقب قائلاً : هذه بديهية مسلم بها ، إذ لا توجد حريــة طليقــة، لأن إرادة الإنسان ليست طليقة أيضاً . ولو افترضنا جدلاً صحة نظرية السوبر مــان الإمريكي الذى استحدثته أخيلة سينما هوليود فى نهاية الأربعينيات . لكان بوســع أي منا أن يحلق متى شاء فى الفضاء ، أو يمشى على الماء وطبقاً لحتمية الفيزياء التــى تجعل من هذه الحرية أمراً مستحيلاً . حسمت سعاد أركان الأمر، بقولها :
" الحرية هي فهم الضرورات ومعرفة الأسباب " !
قال الراوي :
" .. لعل المعتزلة أول منبر فكري فى تراثنا العربي ، عمدت إلى بحــث ومعالجــة

معضلة الحرية الإنسانية ، من حيث الآليات والمحددات المانعة .
فالفعل الإرادي الحرّ هو الفعل المسئول بوصفه إرادة عاقلة شرط تـوفر التخطـيط المسبق والعزم الذاتي ، والتنفيذ الواعي ، وعبر هذا الفعل (المسؤول) يتحقق معنـى الاختيار الإنساني الذى ينفك عن الضرورة وينأى عن الصدفة .
بعبارة أخرى : كينونة الحرية أو ماهيتهـا حـسب المـصطلح المعتزلـي تعنـي : " ارتفاع الموانع " .
.. فيما ألقت فريال النواب دعابة فلسفية فحواها :
" لابد أن استعين بحجة ديكارت ، أنا أشك إذن أنا موجود . أنا حرة إذن أنا موجودة!
.. الحرية فى النص الوجودي ، تعد معالجة لصالح الإنسان ، هكـذا علـق عبـد اللطيف محمود ، فالحرية تعنى حرية الإرادة ، وهذا أمر واضح فى الكلمة ذاتهـا إلا أن هذه الإرادة لا تستطيع أن تعمل إلا حين يكون هناك دافع فإذا لم يكن ثمة دافـع ، لن تكون هنالك إرادة. ثم إن الدافع ينشأ عن الاعتقاد ، إذ ليس بوسعك أن تفعل شيئاً مالم تعتقد بأنه ممكن وذو معنى .
ويجب أن يكون هذا الاعتقاد اعتقاداً فى وجود شئ ، إذ أن هذا الاعتقاد يُعنى بما هو حقيقي .
وعليه ، فالحرية تعتمد على الحقيقي . عبر هذا التواصل المترابط جدلياً بين الـدافع والاعتقاد والتنفيذ ، فإن الحرية لا تكون أبداً حرية مجردة ، لأنها لا تنشأ من العدم .
بل الحرية الأصيلة تمتد جذورها إلى ثقافة الماضي وتشمل معارك الحاضر والمهـام المشتركة التى ينهض بها بناة المستقبل .
والمبدعون ، من كتّاب وفنانين وشعراء هم مادة وجوهر (الغد) بوصفهم حملة الوعي الذي يقضي المشاركة فى خلق وتجديد الإنسان لنفسه باستمرار ، باعتبـار أن هـذا الوعي هو أرقى أشكال الحرية .

الأربعاء ٣/١٨

.. أعادت حلقة المناظرات فى حديقة الفلسفة بسط قضية المرأة ، لـيس مـن جهـة حقوق الأنثى المغيبة ، ولكن عبر منظور خاص نسبياً ، أىّ علاقتها بالرجل .

.. يتعين تجاوز أية حساسّية فى هذه العلاقة ، والتخلي عن الآراء المسبقة ، وتجاوز محددات (التابو) ، وإن أية علاقة لكي تكون ناضجة ، وعاقلة بين الرجل والمـرأة ، لابد أن يتوفر لها التكافؤ – إذ لا يجوز أن نتحدث عن مفهوم دقيق لماهيـة العلاقـة بنظرية (العرض والطلب) أو – بعبارة – الحد الأدنى من التفـاهم . ممـا يعنـى إقراراً بأن الغلبة للأقوى ، أو – الرجل – على نحو محدد.

فيما ترى سهيلة الزهاوي " بأن التكامل هو جوهر العلاقة بين الرجل والمرأة ، فـلا تستقيم الحياة دون وجودهما معاً !! .

من زاوية أخرى ، يطرح قيس الحيالي المعروف بتعليقاته اللاذعة .

" ترى أيهما يجذب الآخر إليه ؟! .

- أجابت الطالبات بصوت واحد .

" الرجل .. " .

- علقت فريال النواب :

"الرجل يحاول أن يلفت نظر المرأة إليه ، لأنه مصاب بميـول استعراضـية وبعقـد متشابكة لا يعلم أحد عددها إلا الله ؟!

اعترض أدموند محتجاً :

- " هذا حكم مسبق وفيه تعميم ..بل يمكن أن ينطبق هذا الانطباع أيضاً على الكثير من النساء اللائي يلجئن إلى مثل هذا الأسلوب " .
- أيدت هدنة إسماعيل الرأي الأخير ، ففي ظنها : " أن الأمر نسبي" .

.. قال فالح قرة علي :

" لدي تعليقات قصيرة :
.. لا قيمة للرجل دون إمرأة ، ولا وظيفة وجودية لها إلا برجل ولا معنى حقيقي للحياة إلا أن يكونا معاً ، كلاهما يشكلان خلية الحياة ، أما الأدوار والمواقع سواء كانت متبادلة أو متكافئة فلا تعنيني ، وإنما الذي يهمني هو أن تكون العلاقة بينهما : "متداخلة" متعاشقة ، وهذا الأمر النموذجي لا يتحقق إلا بمعرفة كل منهما للآخر ، أيّ : معرفة تفاصيل الجملة العصبية ومنظومة الحواس ، وينابيع الغرائز والخبرة (العملية) أي أن يتقبل أحدهما طباع وعادات وأخطاء الآخر وأن يصلا إلى الحدّ الذي يكتشفان فيه قانون الجاذبية المشترك الذي يجعل الحياة ممكنة وربما هانئة رغم ضروب المعاناة التي قد يتعرضان لها في حياتهما المشتركة . فلا سبيل إذن للأقوال النظرية ، فالأولوية المطلوبة تحتم التفاعل الخلاق الذي يحول المشكلات التي تبدو عصية الحل إلى ممكنات يمكن معالجتها أو تجاوزها ، لذلك أرى إستبدال مفهوم (الإنسجام) بـ (التفاعل) .
.. وعن سّر الجاذبية ، أعاد أدموند ما رواه إفلاطون فى محاوراته :
" .. كان البشر مخلوقات كروية الشكل ، يتحد فيها الذكر بالأنثى ، إلا إنهم أبدوا من الطاقة والذكاء غير العاديين ، أموراً نبهت الألهة ، وتسببت فى قلقها ، خشية أن تنازعها هذه المخلوقات النابهة سلطانها الكوني ، فتصبح ألهة أيضاً .
ولذلك قامت الإلهة بتحطيم هذه الوحدة (الكرة) وتجزئتها ، بشطرها إلى نصفين ، فصارا يعرفان فيما بعد بالذكر والأنثى .
وقد أدى هذا الإجراء إلى النتيجة المرغوبة ، إذ أن الكائنات النصفية راحت تصرف كل وقتها وجهدها ، فى محاولة استعادة كمالها الأول ، وبذلك لم يعودا يشكلان أى تهديداً للألهة .
هذا يعنى وعلى الفور أن الشوق متبادل بين المرأة والرجل توقاً إلى التكامل ، كلاهما يحاول جذب نصفه الآخر ، مما يجعل الطرفين على خط واحد تعبيراً عن حنينهما لأن يعودا مرة أخرى إلى النشأة الأولى .

.. قال الراوي : سمعنا وأجبنا ،

" ولكن أيضاً يتعين التوقف عند مفهوم الجاذبية بمعناه النفسي وليس الفيزيائي فالـذي عناه أفلاطون من وراء هذه الأسطورة فى (مأدبة الحب) ، هو (التخصيص) ولـيس التعميم ، إذ لا يمكن لأي رجل أن يجذب كل الإناث ، ولا إمرأة بوسعها جذب كـل الرجال .

هنا (رمزية) النصف الآخر – المحدد المعين .

هناك إيماءات وجدانية تجد تعبيراتها العاطفية فيما يـصدر مـن (نظـرات) ، أو (كلمات) أو أحياناً (رائحة) عبر إنزيمات داخلية ، تومض كالحدس فى الـذاكرة والقلب فى الجذب والقرب .

ولن نذهب بعيداً ، تعالوا نقرأ كتاب إبن حزم " طوق الحمامة " لتثبت أن الأسـطورة التى أوردها أفلاطون إنما هي تعبير رمزي عما جرى ويجري فى الحياة " .

.. وعلى عادته (التلقائية) ، علق حازم المدلّ قائلاً : "لابد من إيجاز مفيـد فـالواقع يتحدث عن كل الذى قيل من فلسفيات وثرثرة نظرية لا طائل من ورائهـا ، هـو أن الرجل لا يساوى (فلسين) ، بل ولا فلساً واحداً من دون امرأة كما أن حياة الأنثى من غير رجل ستبقى طوال حياتها تعيش الوحدة القاتلة ، وستكون كل أيامهـا وسـنوات عمرها حتى الموت شتاءً مقيماً " !

بعد الانتهاء من الحوار تمشينا أدموند وأنا في الأروقة ذهاباً وإيابـاً ونحـن سـعداء بإطلالة الربيع الذي بدا اليوم ساحراً ومدهشاً ، حيث تعبق فى أرجاء الكلية عطـور أنثوية مثيرة فائقة النفاذ ، وألوان بهيجة تزخر بها الفساتين الفضفاضة منها والـضيقة مما يعنى طبقاً لبعض التعليقات الساخرة بأن موسم الربيع فى هذا العام سيكون دسماً بحكايات الحب التي بدأت تنمو فى الممرات الجانبية ، وفي الزوايا القصية بل وحتى فى حديقة الكلية وخارج أسوارها .

الخميس ٣/١٩

حوارات الضحى فى حديقة الآداب . بدأت منذ أربعة أسابيع تجتــذب إلــى حلقتهــا العديد من الأصدقاء والزملاء الأدباء والشعراء من الكلية وخارجها :

طهمازي ، خالد حبيب ،عبد الهادي خلف البحراني، كاظم المكــصوصي ، شــريف الربيعي ، رياض قاسم ، جان دمو ، سركون بــولص ، عمــران القيــسي ، حامــد البغدادي ، محمد طالب محمد .

قرأ القيسي قصيدة : البحر :

الشعر مثل البحر

هذا الراهبُ الضريرُ فى كنيسةِ الرمالِ حين ُيلقي نَفَسه إليك فــي وليمــةِ الــسؤالْ... ويملأ الزمان فى حضوره الرهيب ، الشعرُ هذا الصنجُ فى نشيدنا اليتيم ونحــن فــي طوافنا كجوقةٍ من النساء فى خلاصها تتمتم اعترافها الأخير.. وكنت قد سلخت وجه الأرض فى نهوضيَّ الغريْب .

كأصبع المسيح فى سماهْ .

وكانَ وجهُ النهرِ فى خشوعهِ خطيئة تشير لوجهيَّ الإلهْ .

صاح جان دمو الذي كان مستلقياً على العشب :

إن القــصيدة رومانــسية للغايــة ، وهــي (مباشــرة) ووافقــه علــى اســتحياء سركون .

– رياض قاسم : دع عمران ينشد على هواه .

– عبد الرحمن طمازي : الذى يجعل من الشعر فناً خالقاً ، هــي الوحــدة الداخليــة ومنطق العلاقات المتبادلة بين أجزائها ..

– خالد حبيب : إنني كنت أصغي إلى موسيقي ناعمة !

– شريف الربيعي : تذكرني صور القصيدة بأبي تمام فى مشاهده الباذخة الألوان .

* * *

*أنجزت بحثاً بعنوان " ظاهر الحنين فى شعر بدر شاكر السيّاب " كجزء من أعمال السنة فى مادة الأدب العربي ، تحت إشراف الأستاذ نورى حمودي القيسي .

.. وأظن أن قصيدة (غريب على الخليج) بكل صورها ومعانيها ودلالاتها ، هي العنوان الأول الحاضر في قلب كل عراقي داخل الوطن أو في أي بقعة من العالم المترامي :

" .. جلس الغريب ، يسرّح البصرَ المحيرّ في الخليج ويهد أعمدة الضياء بما يصعّد من نشيجْ ، صوتُ تفجرّ في قرارة نفسيّ الثكلى : عراق كالمدّ يصعد ، كالسحابة ، كالدموع إلى العيون الريحُ تصرخ بي : عراق .

والموج يعول بي : عراق ، عراق ، ليس سوى عراق . البحر أوسع ما يكون ، وأنت أبعد ما تكون. والبحر دونك يا عراق أني لأعجب كيف يمكن أن يخون الخائنون ؟!

أيخون إنسان بلاده ؟! إن خان معنى أن يكون : فكيف يمكن أن يكون؟! الشمس أجمل في بلادي من سواها حتى الظلام . حتى الظلام هناك أجمل فهو يحتضن العراق واحسرناه فلن أعود إلى العراق ! ...

السبت ٣/٢١

عرضت بحث "ظاهرة الحنين فى شعر السياب " فى مادة الأدب العربي ، وقد أشاد به الأستاذ نوري القيسي وأثنى على جهدي المبذول فى إعداد وتنظيم المادة الشعرية، وتصنيف الظاهرة طبقاً لتنوع الموضوع ، الوطن الأم ، القرية ، الأرض ، الدار الأولي ، الحب الأول ، الزوجة ألخ ..

اعترض الأستاذ القيسي على كلمة (مأساوية) ، الواردة فى ثنايا البحث ، واقترح استبدالها ، إذ لا قياس لغوي لها ،

علق فالح قرة علي مازحاً :

أن مأساوية على وزن " جراوية" ![*]

ضحك الأستاذ وضحكنا كما لم نضحك من قبل .

* * *

الأحد ٣/٢٩

قدمت صباح اليوم إلى شركة المنتجات النفطية (مقابل سينما الخيام) استقالتي من وظيفة – كاتب محطة تعبئة وقود ، بعد حوالي شهرين فقط مرّاعلى تعييني ، بعد أن أصبح الاستمرار فى الوظيفة يتعارض ووجوي فى الكلية ، ويعيق تقدمي الدراسي .

.. فقررت دونما تردد التخلي عن راتب الأربعين ديناراً ، واختيار الجامعة! ولذلك سأعود مرة أخرى إلى صفوف الطبقة الهامشية على رأي هربرت ماركوزة ، بعد أن إنفلّت منها طوال (ستين يوماً) ، !

الأربعاء ٤/١

ظاهرة (المحطة) الأنثوية بطلتها (هناء) المعروفة لدى عموم الطلبة بفتنتها الساحرة. وأناقتها المتجددة ، وبرفقتها زميلتها ذات الوجه المستدير بقسماته شبه (اليابانية) المنغمر بالمساحيق الحارة .

هناء وتابعتها. علامة فارقة للمكان الذى أطلق عليه (المحطة الارستقراطية) ، تراهما فى كل وقت وكل الأيام وعلى مدى الفصول. هنا فى الجهة الشرقية من الساحة ، وكأنهما لم يبارحا المكان منذ الأول .

.. يرصدان الجميع ، الحركة ، الايماءة ، الخطوة الابتسامة .. وربما الهمسات أيضاً ويعلمان ما تخفيه الصدور والعيون .

---

[*] توضع على الرأس وهي جزء من الزيّ الشعبي البغدادي :

قال نفر من قسم الجغرافية :

" إن وقوفهما فى هذه البقعة هي لدواعي الزهو والاستعراض فقط .

فيما قالت سعاد العاني : " لا تنسوا بأننا الآن على أبواب التخرج ، وسعيدة الحظ هي التي تلتقط فرصة (الزواج) من زميل لها ، تعرفه ويعرفهــا ، فالـسنوات الأربـع رحلة طويلة نسبياً ، قد تتوافر خلالها أو في نهايتها لحظة (القبول) ، مثلما (وافـق شن طبقة) ، بعد أن أحبت ناقته بعيرها " . ؟!!

الآداب مهرجان الشعر الأول

الاثنين ٤/٦

.. فى الثانية والنصف بعد الظهر القيت قصيدة بعنوان "زمن الضجر" ضمن برنـامج المهرجان الذي أعدته واشرفت عليه لجنة من أساتذة قسم اللغة العربية ، من بيـنهم الدكتور إبراهيم الوائلي ، والدكتور بدوي طبانة ومطلع النص :

"الليل كأس شربه ضجر

شمس تموت فى دنى آخر

وتنطوي فى عالمي شرائط القمر

* * *

الأحد ٤/٩

.. نشرت جريدة الجمهورية ملاحظات نقدية على قصائد مهرجان الآداب ، أشـادت فيه بمبادرة قسم اللغة العربية ، وصنفت القصائد إلى ثلاث مراتب ، جاءت قصيدتي ضمن المرتبة الثالثة حسب الناقد ، فيما قدم الأصدقاء والزملاء بعض الهدايا لمناسبة مشاركتي فى المهرجان ، فقد أهدتني سهيلة أحمد ديوان " غابة الزيتون " .

وخالد خليل كتاب "فلسفة المعاد "

وسعاد توفيق أركان ديوان " منزل الأقنان " فيما قدم أدموند "قلم حبر" وكذلك بـادر فالح وعامر وهدنة وباسل وفريال .

الموصل السبت ١١/٤

ليلة عيد الأضحي

برفقة الصديق محمد طالب محمد سافرنا معاً إلى الموصل .

توقفت الحافلة فى بيجي ، تناولنا طعام العشاء فى مطعم (ردئ) .

.. وفي الثالثة صباحاً نزلنا فى فندق (السويس) في شارع العدالة ، قرب جادة حلب.

* * *

الموصل ١٢/٤

نشرت جريدة الجمهورية مجدداً بعض الملاحظات النقدية عن مهرجان الآداب .

فى العاشرة والنصف تناولنا طعام الإفطار ،

.. التقينا بالصديق بدران خليل غزال ، الذى فرح لوجودنا ، واصرَّ على دعوتنا للغذاء فى مطعم لا يبعد كثيراً عن الفندق .

.. اصطحبنا بعد ذلك إلى منطقة (الزنجيلي) حيث فاجأنا خالد خليل الراوي ، الذى لم يكد يصدق عينيه ، أغدق علينا وعائلته بأطباق الجرزات والمكسرات ، واحتسينا شاي العصر فى باحة دارهم الشرقية الجميلة .

.. أول ما يلفت النظر فى المدينة ، ظاهرة النظافة ، والتنظيم ، والطقس الربيعي الأخاذ والحدائق المكتظة بالعشب والأشجار الباسقة ، وعذوبة الهواء .

التقطنا صوراً تذكارية أمام مدخل الجسر الجديد الذي قطعناه مشياً على الأقدام حتى وصلنا منطقة النبي يونس ، تمشينا طويلاً فى الأزقة والطرقات القديمة .

.. لم يفارق (السعال) اللعين صدر محمد ، رجوته أن يقلع عن الدخان أو يقلل منه .

الموصل ١٣/٤

- قبيل الظهيرة قطعنا جادة حلب ذهاباً واياباً وقد امتلأت صدورنا بأبخرة (الباجة) التى تنتشر موائدها على ضفة الشارع ..

فى الواحدة والنصف بعد الظهر جاءنا الفندق بدران غزال هاشاً مرحاً وهو يتراقص

كعادته ، وهو يحثنا على الخروج قائلاً " هيا فالغذاء بانتظاركم!" .
ولّجناحيّ (الخشابين) حيث الدار البهية إحتفت بمقدمنا ووجدنا الزميل يحي الخشاب (ثالث تأريخ آداب) وخالد خليل مع آخرين بانتظارنا في غرفة الضيوف .
.. قال الحاضرون وهم يرحبون بنا مجاملين :
" .. إن قدومكم مبعث خير وبركة ، فالمطر ينهمر بغزارة ، سنحظى بربيع بهيّ هذا العام " ..
.. في الخامسة والنصف ، جولة حرة في المدينة ، رافقنا خالد ويحي وبدران إلى الأسواق ، والحدائق ، والشوارع .. الموصل تموج بحركة المارة وتكتظ بالمركبات التي تعد من أعظم مصادر الأزعاج في العالم بسبب الاستخدام الجنوني لجهاز (الهورن) – التنبيه – الذي يسهم صوته الصاخب في التلوث السمعي والجمالي معاً يتحرك الناس هنا بحماسة وحيوية ..
ويقبلون على الأسواق بحشود متصلة ، اقترح خالد خليل أن نزور (المجموعة الثقافية) .. وحين وصلنا إلى هناك كانت زخات المطر شديدة أعاقت حركتنا ، فآثرنا العودة بنفس السيارة .
.. وبعد استراحة قصيرة في فندق السويس تناولنا فيها الشاي والمرطبات ، وبعد أن كف المطر وأشرقت الشمس تمشينا قليلاً ، وعلى ناصية الشارع حديقة غناء ، تعذر الجلوس على آرائكها المبتلة ، التقط محمد طالب صورة تضم خالد وبدران وأنا ... وواصلنا السير بعد أن عبرنا الجسر وعلى الضفّة الأخرى من النهر مقهى الميناء أرخينا أجسادنا على (تخوتها) المريحة .
.. ملأ بدران الأجواء بقفشاته المرحة ، وهو يروي لنا بعض المواقف المضحكة .. أمضينا وقتاً رائعاً في المقهى ، وعدنا إلى الفندق في العاشرة والنصف مساء قطعنا الليل محمد وأنا حتى الثانية صباحاً في المسامرة ، يحدثني عن البصرة وأيامها ، وعن طفولته (الوديعة) في تلك الدار التي أحبها ، وفراقه لأمه ، التي رحلت في وقت مبكر وهو لم يزل طفلاً ، الفراق الذي ولد في قلب الصبيّ الصغير

إحساساً رافقه طوال عمره بالغربة ، والوحشة .. كما لو كان وحيداً فى هذا العالم [*] .. وأن الشئ العظيم فى حياته ، هو موهبته الشعرية التى يجد فيها العزاء كله ..

ثم أنشد بعضاً من شعره وآخر ما نظمه اليوم :

جاءتْ رؤاكِ تمزقُ الليلا
لتبثني الإيحاءَ والقوْلا
فمشاعري أمسّيتُ اكتبها
وأتيتُ فى ذكراكِ منسلا
ها قد أطل بحيّرتي أملُ
نيسان ما أحلاه إذْ حلاّ
لا تنبت المرجانَ مزروعة .
إلا بقاعِ البحرِ يا ليلى .

وختم آخرة اللَيل بمقطع من قصيدة يقول فيها :

مضى الأمسُ أشرعةً وانتظارا
وهامَ لقاءُ كلّيل الحّيارى
كحادٍ طواّهُ الرحيلُ الحزينُ
وماتتْ على مُقْلتّيهِ الصحارى
كإقلاعِ أياميَّ الواهنات
بصمتِ إبتهالي فراراً فرارا .

---

[*] لعلّ موت محمد المبكر ورحيله المأساوي غريباً في الجزائر وهو في سن الخامسة والأربعين حديث يطول ، قــد يتسنى الكلام عن حادثة اغتياله الوحشية في آخر صفحات هذا الكتاب .

الموصل ٤/١٤

.. أشتد سعال محمد وتواصلت الأوجاع فى حنجرته وصدره منذ ليلة أمس وحتى صباح اليوم وكاد أن يختنق عند الفجر عندما أخذته نوبات متتالية من السعال الجاف، مما جعله ينسلُّ من حجرة النوم ، خشية أن يوقظني ، يحسب أنني كنت نائماً . خرجت بأثره ، فوجدته منكفئاً فى الرواق الطويل ، وأعدته إلى فراشه .

.. محمد الكائن الرقيق . العجيب ، الممتلئ بالطيبة والدمائة والحياء ، يغافل فجأة شلة الأصحاب ، حين تداهمه نوبات السعال ، فيؤثر أن يلوذ بنفسه بعيداً لئلا يتسبب فى إزعاج أحد ، هذا الشاعر الإنسان الوديع الذي إذا مشى فى طريق يحرص أن ينقل خطواته بليونة وتأن خشية أن يجرح الأرض ، ..

.. لقد اقتربت من محمد وصحبته طوال السنتين الفائتتين ، فوجدت فيه شمائل الإنسان : الراقي في فكره ، وفي أدبه الجم ، وعلّو همته ، وميله الفطري إلى الخير والمروءة والمعاونة ، كما هو شأن البصرة وأهلها .. وجاءت تجربة السفر ، فأكدت كل السجايا النبيلة التي يتحلى بها هذا البصري الرقيق .

.. فى الواحدة بعد الظهر تناولنا طعام الغذاء فى الفندق . وحين جاء بدران ليصحبنا مجدداً إلى المجموعة الثقافية أعتذر محمد عن الذهاب ، وأثر البقاء فى الفندق ، لأنه لم ينم ليلة أمس ولم يهجع إلا لماما . .. تجولنا فى البدء فى منطقة (الدواسة) ، استوقفتني أو قل أدهشتني شجرة صفصاف عتيقة ، عظيمة باسقة الارتفاع ، التقطنا صورة تذكارية تحت ظلالها الكثيفة .. ومضينا بعد ذلك فى العربة إلى (المجموعة) ... وبعد حين ، وجدت نفسي بين مزارع شبيهة بالبساتين .

.. وثمة غابة كبيرة تحتشد فيها أشجار الصفصاف و (اليوكالبتوس) أنا تمدّ بصرك وتلقيه فثمة ربيع ، وعشب نّدى ، وأضواء ملونّة كما قوس القزح ، تمنيت أن يكون محمد حاضراً ، لعل المشهد الجمالي يحثه على القريض .

.. وفى الرابعة عصراً ، عُدنا إلى الفندق لنطمئن على محمد ، فوجدناه أفضل حـالاً مما تركناه في الظهيرة ، فقد أكثر من شرب (البابنك) ، وآثر الاستلقاء في القيلولة، بعد أن تدثر جيداً ، فوجدناه قد استعاد بعض نشاطه ، لذلك وافق علـى اقتراحنـا ، بمغادرة قوقعة الفندق الرطبة ، فخرجنا سويةً ، نملأ صدورنا بعبق قـداح الرمـان الذي يسرى في كل ركن من حديقة (الشهداء) التي بدت منظمة ونظيفة ونضرة .

.. يبدو أن (البلدية) متابعة لها ، لم تنقطع عمليات الإصلاح والتنظـيم ، وتنـسيق أحواض الزهور .

.. وعند الانتهاء من هذه الزيارة ، وجدنا أنفسنا ، في مقهى (أحمد باري) ، حيـث أمضينا الجزء الأكبر من الليل ، بين كلمات السيدة أم كلثوم وهـي تـشدو بأغنيـة (كان زمان)،(لسة فاكر) .. وبين طاولة (النرد) علق محمد على الأغنية ، بأنهـا تجعله يستعيد الأيام الحلوة ، وذكريات الطفولة والصبا في ربوع البصرة ، والعـشار وأبي الخصيب، وتوقظ في أعماقه تلك اللحظات الرائعة التي لن تعود مرة أخـرى ، ولكنها تبعث في النفس الحسرة والأمسى ، وهو يستذكر وجوه الأصدقاء الذين غابوا عن العين ، فيما ظل حضورهم قوياً في الذاكرة .. فيما ترتقى الأوجاع الحقيقية مـن قاع الزمن إلى قمة القلب حين يطلّ الموتى على شرفات هذا الزمن الذى لم يعـد إلاَ تقويماً للساعات والدقائق في مقابل (كان زمان) ، الذي كان طفولة ، براءة ، محبة ، وأشياء أخرى من الصعب العثور عليها في زحمة التوقيتات الرقمية الفارغة .

الموصل ٤/١٥

فى الحادية عشرة كما جرت العادة تناولنا طعام الفطور فى الفندق .

قرر محمد أن يعود إلى بغداد ، صحبته إلى (كراج النقليات)

.. غادر فى حافلة الساعة الثانية بعد الظهر وهو لا يزال يعاني من آثار البرد اللعين وفي مقهى (أحمد بارى) ، جاءني الزميل سعيد حامد الذي لم يعلـم بمجيئـي إلـى الموصل ، إلا ظهر اليوم ، وأبدى أسفه لأنه لم يخط بلقاء محمد طالب .

رافقته بسيارة قريب له ، تجولنا فى أطراف المدينة ، .. ثـم قـصدنا (الدملماجـة) وكذلك (الثكنة الحجرية) منطقتان لهما ذكرى أليمة فى وجـدان أهـالي الموصـل ، بسبب الأحداث المؤسفة التى جرت فيها وشهدتها عقب حركة الـشواف فـى ٨ آذار ١٩٥٩ ، وفي طريق العودة مررنا بمنطقة (سنجار) وهى حَي مـن أحيـاء المدينـة القديمة .

.. وفي السابعة مساءً ، تناولنا عشاءً مبكراً على مائدة عائلة سـعيد حامـد .. وقـد أحطت برعاية بالغة وكرم وفير .. ما بين الثامنة والعاشرة مساءاً العودة إلى مقهـى (أحمد بارى) ، حيث انشغلنا بلعبة (الطاولة) ، بدران وخالد وأنـا ، تبادلنـا الفـوز والهزيمة ..

* * *

.. وفي حجرتي بالفندق دونت الانطباعات الأولية الآتية :

– العائلة (الموصلية) ، تتميز بحسن التنظيم والنظافة المتناهية وتحرص على جمالية المكان الذي تقيم فيه ، وتلمس ذلك فور دخولك أي بيت من هـذه البيـوت ، سـواء انحدر أهله من طبقة موسرة أو متوسطة الدخل ، أو حتى فقيرة .. والأمـر الملفـت للنظر ، أن العائلة الموصلية تضع موجوداتها من الأثاث ومستلزمات البيـت علـى نحو مرتب ومنسق فكل شئ يستقر فى المكان المخصص له ، دونما مبالغـة ، فـلا زيادة أو نقصان .

أما المائدة فى بيوت هذه المدينة فهي سفرة باذخة بأنواع الطيبات والثمرات بكل مـا يتوفر فى الأسواق ويزيد عليه ، .. وأكرام الضيف وحـسن وفادتـه ، والترحيـب بمقدمه ، ظاهرة بيّنة رأيناها ولمسنا الكثير من دلالالتها ، فى البيوت الثلاثـة التـى دُعينا إليها .

المجتمع الموصلي ، حيويّ ، نشط ، متوتب ، يقرأ ، يعمل ، يناقش ، يهتم بـشؤون الحياة وينشغل بهموم الوطن وأخبار الأمة .

عموم الأصدقاء والصحبة يبدون حماساً شديداً بعملهم الحاضر ، ويخطط كل منهم لمستقبله بروح واثقة متفائلة ، وهم طموحون . وكل من هؤلاء قد أعد هدفاً يسعى إلى تحقيقه .

وهذا يعنى أن غالبية هؤلاء الرفاق يدركون بوعي ماذا يريدون ، طبقاً لإمكاناتهم ، واستعدادهم ، ومثل هذه الأمور تبدو فى غاية الإيجابية .

* * *

الموصل – بغداد : الجمعة ١٦/٤

.. فى السابعة صباحاً ، صعدت إلى الحافلة المتجهة إلى بغداد ، وقد حرص الصديقان بدران خليل غزال ، وخالد خليل الراوي على المجئ فى وقت مبكر للسلام والوداع استغرقت الرحلة حوالي سبع ساعات .

* * *

السبت ١٧/٤

.. نشرت جريدة كل شئ الأسبوعية تحقيقاً صحفياً عن مهرجان الشعر الأول فى الآداب ، وأوردت مقاطع من قصيدتي " زمن الضجر" !

إلى جوار بعض الصور التي تم التقاطها للشعراء ، راضي رحمة السيفي ، محمد آل ياسين ، مكلف نجم جابر ، عبد الأمير الورد (دراسات عليا) .

الأربعاء ١٢/٥

.. انتهيت مساء اليوم من كتابة قصيدة "زهرة الصفصاف" :

يا لدنيا من هاربات المطافِ

أرقتْ فى مدينة الصفصافِ

لحنايا مقابر فى ظنونٍ ..

.. تتهادى لمربضٍ فى الجفافِ
حيث تأتي نجلاءُ فى صمتيَّ ..
.. المحتز بالآه والمنى والهتافِ
لست أنساك والخواطرُ يقظى
فى جفون الظلام كالأطياف
حسبنا غصةً ويفترشُ الجسمُ
لحوداً من البلّى والخوّافي

* * *

الخميس ٦/١٠

.. أعدت قراءة الفصل الثاني من كتاب مُطاع صفدي: "الثوري والثوري العربي"

.. فى ذات اليوم الذى أعلنت فيه الثورة الفلسطينية إنطلاقتها بداية الكفاح المسلح ضد العدو الصهيوني .

الثلاثاء ٦/٢٩

- أمل مرة أخرى ، مقابل دائرة البريد المركزي (السنك) ترفـل بثـوب زاه . بلّون (قمر الدين) وشمس الغروب .
- إحتسيا (الكوكا كولا) أطفئا بعضاً من حرارة حزيران اللاهبة .
- تمشيا حتى آخرة شارع (أبي نواس) وعاد بها مـرة أخـرى إلـى شـارع الرشيد،، تناولا (المرطبات) وقوفاً ..

قالت : إلى أين نمضي فى مثل هذا القيظ الذي يشوي العقول ويفتت الأكباد . ألـيس ثمة نافذة للخلاص ؟!

– أجاب : تضيق بغداد الوسيعة علينا ، إلا من خطواتنا ، فليس هنـاك مـن مـلاذ يضمنا فى رحابه إلا حديقة كرادة مريم ، وليس لنا إلا تلك الأريكة الخضراء التـى طال الاشتياق إليها بعد أن أصبحت جزءاً من وجودنا .

قالت : حتى أحلامنا المؤجلة تبث شكواها فلم يعد بوسعنا أن نصنع شيئاً آخر سوى هذه اللقاءات السريعة التى تثير فينا توقاً لاستمرار الوصال ، فما إن نفترق ، حتى يعاودني الحنين إليك ، والشوق للقائك !

علق قائلاً :المعاناة هي جوهر الحياة ، من غير هذه المشاق وبالأخص مرارتها يتعذر معرفة الغامض المضئ والجميل أو اكتشاف المذاق الحلو في الجانب الآخر من البحر !

الخميس ٧/٨

.. فوجئت مساء اليوم وأنا فى طريقي إلى مكتبة (الصباح) ، في شارع عمر بن عبد العزيز بأحد السكاري ينهال على بسيل من الشتائم المقذعة ، حاول أن يمسك بي فرفعت يديه عني ، وابتعدت فى محاولة اتقاء شروره ، لكنه تمكن من اللحاق بي ، شاهراً مسدسه مهدداً ومتوعداً ولولا هشام عبد الرحمن وقحطان القصير اللذين حالا بيني وبينه ، لما أمكنني التخلص من أذاه .

.. علمت أنه أحد الشقاة فى الأعظمية ، وأنه كثيراً ما تنتابه مثل هذه النوبات الرعناء ، فيعرض للناس الرائحين منهم والغادين دونما سبب أو معرفة سابقة .

.. وقد جعلتني هذه الواقعة طوال الليل في حالة تأزم نفسي ، ووضع مهين ، وأنا أحاول أن ألتقط دلالة ما جرى ، وما تعرضت له في شارع عمر بن عبد العزيز من ضروب التهديد . أين يكمن الفعل العدائي مما ألقي علينا من محاضرات علم النفس بشأن دوافع سلوك الفرد ؟!

الجمعة ٨/٦

فى الخامسة عصراً قذفت نفسي فى مياه خضر إلياس أمضيت حوالي الساعتين هروباً من غليان الطقس ، الذى وصلت الحرارة فيه إلى أقصى درجة لها بحيث ترى أعمدة البخار تتصاعد من الأسفلت !

* * *

الخميس ٨/١٢

نشرت جريدة الجمهورية فى ملحقها الأدبي اليوم قصيدتي " قصة الضجر والصفصاف" فى العدد (٥٧٧) .

* * *

أعدت قراءة "ماجدولين" أو تحت ظلال الزيزفون ، وسبق أن قرأتها فى السنة الأخيرة من الابتدائية .

* * *

الجمعة ٨/١٣

مقهي البلدية :

مناقشات حادة بين ناقد وأديب وفنان تشكيلي ملأت أجواء المقهى (صراخاً) ما إنْ تهدأ حيناً حتى تعود مرة أخرى فتنقلب الأحاديث المتبادلة إلى (مناقشة) تفلت كلمة غليظة من هذا أو عبارة فظة من ذاك فتعلو الأصوات كما لو أنها معركة حقيقية ، فتتحول المواقف إلى مناكفة وعناد ..

وعندما هممنا الخروج والذهاب إلى مقهى الزهاوى فوجئنا بمغادرة الفرسان الثلاثة المقهى ، عندها فقط ، جلسنا على تخوت متقابلة ، خالد حبيب ، عبد الستار جواد ، سامي مهدي ، رياض قاسم ، شريف الربيعي ، علي فلك ، محمد طالب ، جان دمو

حامد البغدادي . عمران القيسي .
بدأ النقاش على جبهة (الالتزام) فى الفكر والأدب ، وأن على المبدع شاعراً أم فناناً أو مفكراً أن يتحمل مسؤوليته تجاه ما يحدث من حوله ، إذ ليس ثمة من حياد ممكن أمام ما يجري فى عالمنا وما تدور به الحياة من قضايا مصيرية ، وأن العزوف عن المشاركة فى حل ومعالجة هذه المعضلات ، هو تخل عن المسؤولية الأخلاقية ، وإنحياز يصب فى مصلحة الطفيليين والمستغلين وتكريساً للواقع السئ القائم .
قال عبد الستار جواد : "دعونا نخرج من تحت عباءة – سارتر – قليلاً ، فالجاحظ مثلاً خاض فى كل القضايا والمشاكل القائمة فى عصره ، وحاول فى الكثير من نصوصه تحليل الواقع الاجتماعي واتخذ موقفاً نقدياً من هذا الواقع " .
.. والأمر ذاته فى الأدب العربي ، ، مذ أن كان الشاعر ترجمان ولسان القبيلة ، الناطق بهمومها ، أي أن (الالتزام) في تأريخنا كان على مر العصور (موقف فعلي) ، وليس مجرد فكرة طارئة " .
لكن أحداً لم يتنبه إلى هذا الأمر ، ويبدو أننا بحاجة دائماً إلى من يذكرنا بتراثنا ويحفزنا على النظر فيه والبحث فى أوراقه ، لنكتشف بأننا مهملون وغافلون .. وأن هناك فاصلة تاريخية وحضارية ومعرفية بين الذى مضى وما هو قائم !

الخميس ٨/١٩

بدلاً من أن أنزل الكرخ وأعوم في مياه خضر إلياس هرباً من حرارة آب اللاهبة آثرت العودة مرة أخرى إلى هيدجر الذي بدأ مشروعه الفلسفي بـ (الوجود والزمان) ..
في محاولة البحث عن سؤال : " ما الوجود " ؟!
١- ولأن هيدجر هو مفكر الوجود ، فإنه جاء من (الفينومينولوجيا الهوسرلية)، واستخدم منهجاً ، ولكنه طبقه على هذا الموضوع الأوحد .

الإجابة عن سؤال : " ما الوجود " ؟! الذي طرحته الفلسفة الإغريقيـة منـذ بداياتها ، والذي أرجئ الجواب عنه باستمرار .

ويرى هيدجر أن " الميتافيزياء " أي " الفلسفة الغربية " قد غاب عن نظرهـا ابتداء من (أفلاطون) ووصولاً إلى (نيتشه) – الفارق الأنطلـوجي – أي التمييز الأساسي بين (الوجود) و(الموجود) لصالح تعقل الموجود وحـده بعد الخلط بينه وبين الوجود ، بما هو كذلك والحال أن الوجود هو ما يهـب الموجود أن يظهر ، وما يعطي التعقل أن يُتعقل ، ولقد انصب كـل مجهـود هيدجر على تفكيك بناء المأثور الميتافيزيائي للغرب ليهتدي فيه من جديد إلى أثر بُعْدٍ ضائع .

٢- ما الوجود ؟! هو ما هو موجود ، فليس الوجـود : " لا الكلـي ولا أسـاس العالم ، الوجود هو أبعد من كل موجود ، سواء أكان صـخرة أم حيوانـاً أم أثراً فنياً أم أكثر ، وسواء أكان ملاكاً أم إلهاً . الوجود هو الأقرب " .

بيد أن هذا القرب يبقى إلى الإنسان هو الأبعد فالإنسان يتمسك دوماً وبـادئ ذي بدء بالموجود وحده وأرجح الظن أن الفكـر عنـدما يتمثـل الموجـود موجوداً، فإنما يرجع إلى الوجود ، لكنه في الحقيقة لا يعقـل باسـتمرار إلا الموجود بما هو كذلك ، وليس بحال من الأحوال الوجود بما هو كذلك .

٣- ردّ هيدجر بحدة على دعوى معلمه (هوسرل) القائلة بوضـع الاختيـارات الأساسية للوجود بين قوسين ، للانصراف إلى دراسة الوجـود ، فمـا مـن سبيل إلى وصف الوجود إلا أن يكون الإنسان حـائزاً أولاً علـى تـصور للوجود .

٤- يقول روجيه غارودي : " لدى هيدجر تجد التعبيـر الأكثـر حـرارة عـن اضطراب العالم في فترة ما بين الحـربين فبـين سـماء خاويـة ، وأرض تضرب فيها الفوضى أطنابها ، تتبدى حياة الإنسان بلا منظور ، بلا مخرج وما كان موقفاً لأمة معيّنة من الأزمة ، يجعل منـه هيـدجر هـو الـشرط الإنساني ، والعلامة الفارقة المأساوية لكل وجود .

٥- وطبقاً لما سبق فإنه لا يجوز بأي حال من الأحوال أن نتناول فلسفة هيـدجر

في اتجاه ذاتي محض ، إذ أنه يعلم جازماً أن العالم هو أصل الذاتية والموضوعية ، ويبدو أن الكلمة الأخيرة لفلسفته هي : الحرية وهي أساس الأساس على حد تعبير بوشنسكي(*) .

الخميس ٨/٢٦

.. فى مقهي العروبة ، أعدتْ كتابةَ القصيدة الآتية :

يا خيالاً بات فى حلمي وتصخابي وصمتى — ماثلاً يحملني شوْقاً خريفياً ويأتي

دونما أشرعة تعبى وتهوية صوت — ثم يأتي حاملاً أمسي وآلامي وموتي

أنتهي : لا ؟! لست استوقف أيامي رجوعا — فى لجة الصمت الترابيّ صريعا

يائساً مغترباً يستعطف الناس دموعا — أنتهي : لا ؟! ما أطرب الليل الشموعا

وتنهدتُ وكان الطيف معطار الثنايا — راقصاً فى هذيان الضوء بْوحاً وحكايا

وتلفتْ فألفيت جنوني وأسأيا — غربتي ، أياميَّ الثكلى ، وأصداءَ نِدايا

* * *

الجمعة ٨/٢٧

مقهى البلدية :

مسامرة ممتعة مع جان دمو ، قرأ خلالها بعضاً من قصائده الأولى .

فى الرابعة عصراً أذن لي أن أدخل مسبح بغداد لأول مرة بفضل الصديق مالك النواس الذى يعمل مشرفاً هناك .

(*) فيلسوف بولوني معاصر من أعماله : التيارات الفلسفية لأوربا المعاصرة (١٩٤٨) .

أمضيت ثلاث ساعات أو تزيد فى حمام السباحة هالني مــشهد البكينـــي الملّــون ، والرقص الفاضح ، .. إنه مهرجان يفوق الوصف فى ملهاته ، وكأني أنـــزل بلـــداً لا أعرفه ، أو كوكباً آخر .

هنا تدرك جانباً من سذاجة القيم البورجوازية وتتفتح ذاكرتك البصرية على المــدهش والمثير ، والهابط والسخيف بل و(المقرف) أيضاً . لا أعلــم إن كنــت مخطئـــاً أم مصيباً في موقفي مما أراه أمامي ؟!

فالجمالية الأنثوية ، أرقى كثيراً من مثل هذه العروض المثيرة للغرائـــز الرخيـــصة ، ولا أظن أن إمرأة في الكوكب الأرضي ، تعتقد بأن مفهوم الحرية الشخصية ، فـــي الفقه الإنساني يعني إعلاناً جنسياً صاخباً ، على النحو الذي يجعل : (الغـــامض) ، (السر) ، (المجهول) متاحاً ومباحاً ، ومكشوفاً بالطريقة التي تهـــين أنوثـــة المـــرأة وتحط من قيمتها الجمالية ، فالزاويـــة المنفرجـــة بـــين الـــساقين ، وهـــزّ الأرداف (المفتعل)، هو الجهل بعينه ، وأنانية مرضية ، وتصرف أحمق من شأنه أن يجـــرح ويلوث كل القيّم الجمالية التي تجعل من إمرأة كهذه التي تزهو بـــالبكيني الأحمـــر ، قاصرة الفهم عن معرفة النفس واحترام الذات ، أما الميـــل الاستعراضـــي واعتبـــار المسألة منافسة للأخريات في إظهار المفاتن أو ما تقوم به هذه المرأة أو تلك مـــشهداً يسرّ الناظرين ، فإنه في كل الأحوال ليس إلا ظناً خائباً وسذاجة أخرى . فلم نـــسمع ولا قرأنا يوماً بأن إثارة غرائز الغلمان والشباب في مثل هذا الفضاء المكشوف يرقى إلى أي مستوى من مستويات الجمال والحكمة والعقل .

ترى هل هذا يعني أنني من جيل متخلف .. وأنتمي إلى عصر عتيق فات زمانـــه ؟! الذي يبدو بأن ثمة من تعتقد بأن مفهوم الحرية الشخصية ، يعني أن يتحدث الجـــسد بصوت عال .

أما اختزال حجم (البكيني) إلى أقصى حد إلـــى (النقطـــة) الرقميـــة أو (الـــصفر) الرياضي ، والكشف عن مساحة الجسد بالكامل إلى حدّ (التعري) إلا مـــن ورقـــة

التوت التي قد تنحسر زواياها أو تنفرج عن (سوءة) ذميمة بالغة القبح ، فليس لـــه إلا معنى واحد . يعف اللسان عن بيانه .

الاثنين ٢٠ /٩ ، الخميس ٩/٢٣

ثلاث من قصائدي نشرت على التوالي :

١- جريدة صوت العرب قصيدة : " مدنية الصفصاف" .

٢- جريدة الجمهورية (الملحق الأدبي) ، " المرثية الأولى " .

٣- الملحق الأدبي/ جريدة الجمهورية " المرفأ القديم " .

الخميس ١٠/٧

فى المساء بدأت بقراءة ناظم حكمت ، فى ديوانه :

" يالحياة المنفى من مهنة شاقة "

يقول حكمت فى قصيدة : "الراحل" :

"الليل والثلج على زجاج النوافذ والقضبان المتلألئة فى الظـــلام الحريـــري تـــذكرني بالفراق الذى لا أمل فيه .

وفي المحطة ؛

فى ردهة الدرجة الثالثة

ترقد إمرأة حافية القدمين

ذات طرحة سوداء

وأنا أروح وأغدو

الليل والثلج على الشباك ،

وأغنية تنفذ إلى الأعماق ،

تنشد فى الداخل

هذه هى الأغنية

أخى الراحل

لا تنظروا إلى عيني أيها الرفاق
فإن جهاشة تتعقد فى حلقي ،
تذكرني بالفراق الذى لا أمل فيه ؟!!

* * *

الخميس ١٠/١٤

– يوم التعداد العام للسكان فى عموم العراق .

– مساء جاءني السيد النفاخ تمشينا معاً من (رأس الحواش) إلـــى منطقـــة (المقبـــرة الملكية) .. ثم أوينا إلى مقهى العروبة .

– عاودت قراءة الكوميديا الإلهية وكان خالد حبيب قد أهداني السنة الماضية روايـــة (الحياة الجديدة) فضاعفت وقائعها الرومانسية إعجابي بدانتي ، الذي يصف تجربته العاطفية ، وحبه المتوهج لـــ (بياتريس) بغنائية شعرية بالغة الرقة .

– باشرت الدوام فى الكلية/ السنة الثالثة .

الجمعة ١٠/١٥

قالت أمل متسائلة :

" .. ما الذى يجعلك حزيناً إلى هذا الحد ؟ ..من يقرأ قصائدك الأخيرة لابد أن يدرك بأنك تعيش تجربة مأساوية ؟!

أجابها :

" أليس هذا هو الواقع ؟!

هل تفترضين أن أكون جزءاً منفصلاً عما يجري من حولي ؟!

قالت : " إن القصائد المنشورة تكاد تومئ إلى نهاية العالم ، إنها تعبير عن – عدميـــة – بالغة القنوط ، جعلتني فى حيرة من أمري ، وقلقة طوال الأيام الفائتة ؟!

قال : هذا جانب واحد من القضية ، أما الجانب الآخر ، فأنه ينصرف إلـــى (الإرادة

الخالقة) ، التى تعنى أيضاً صراعاً مستمراً بين قطبين متنافرين ، أنا لم انتهـــي إلـــى اليأس أو أتقبل الهزيمة فمازلت حتى الآن أواصل محاولة رفع الصخرة ليس صعوداً إلى قمة الجبل كما سيزيف ، ولكني فقط أحاول أن أزيحها عن صدرى مـــرة وعـــن طريقي مرة أخرى

.. لابد أن تعيدي قراءة النصوص بشمولية الفكرة وتتمثلي دلالتها الرمزية .

السبت ١٠/١٦

.. مقهى قادر شلق – العيواضية

أبدى محمد طالب محمد بعض الملاحظات على قصيدتي – أناشيد الفارس المهـــدود .. التي انتهيت منها قبل يومين .

.. وفي الواحدة بعد الظهر انطلقنا نحن الأربعة : محمد طالب وحامد البغدادي وعلي فلك وأنا إلى شارع المتنبي وسوق السرايّ نبحث عمـــا هـــو جديـــد فـــى عنـــاوين الإصدارات الحديثة التي نزلت أخيراً ..

الرغبة عارمة فى إقتناء أكبر عدد من الكتب ، لكنها تصطدم بــــ (جيوبنـــا) شـــبه الخاوية .. التقطت كتاب – الزوج المربوط – للشيخ جلال الحنفي ، بخمسين فلـــساً ، وبقيت في جيبي قطعة نقدية صغيرة (عشرة فلوس) وهي أجرة حافلة النقل للعـــودة إلى الأعظمية .

* * *

الخميس ١٠/٢١

فى الظهيرة تناولت الغذاء فى بيت خالتي بدرية . قرأ علي خالـــد حبيـــب قـــصتين قصيرتين ، هما آخر تجاربه فى الكتابة ، بدأ يفكر فى إصدار مجموعة فى كتـــاب ، فأبديت حماسي للفكرة ، وشجعته على المضي فى مشروعه .

.. عندما أعدت إليه – تحت سماء الجليد – قال : اعتبره هدية .

الثلاثاء ٢٦/١٠

إختارني الدكتور جعفر آل ياسين رئيس قسم الفلسفة عضواً فى هيئة تحرير مجلة قسم الفلسفة التى من المزمع إصدارها فى الأسابيع القادمة تحت إسم "الفكر الجديد" ، وستكون أول مجلة للفكر الفلسفي تصدر في تاريخ الثقافة العراقية الحديثة .

* فى الظهيرة مقهى شارع الخيام

التأم طهمازي ، شريف الربيعي ، جان دمو ، سركون بولص ، سهيل سامي ، خالد حبيب ، عمران القيسي وأنا ..

.. بحيويته المتدفقة ، وثب القيسي وهو يقول أصغوا، سأتلو عليكم انشودة الريح الغربية – يقول شيلي : "

" أيتها الريح الغربية "

أنت يا نسمة من انفاس الخريف

أنت من وجودك غير المرئي

تنساب كأشباح هاربة

من أمام ساحر الأوراق الميتة

جماعات ، جماعات ، صفراء سوداء شاحبة حمراء من حمى السل ومصابة بالطاعون أنت التي تقودين البذور المجنحة إلى مضاجعها الشتائية المظلمة ،

حيث يرقد كل منها هادئاً ، كجثة في قبرها هامدة

أنت أيتها الريح الهائجة المتنقلة فى كل مكان والمجتاحة المهدمة

والواقية الحافظة

أسمعيني .. أسمعيني .

.. صمت عمران القيسي فجأة وتوقف عن الإلقاء وهو ينظر متأملاً الوجوه والعيون.

- حسناً فموعدنا الثلاثاء المقبل لأتمام الأنشودة .
- علق سركون بولص : "الترجمة جافة ، امتصت رحيق القصيدة ، أفاق جان

دمو من غيبوبة القيلولة .

- النص الشعري يجب أن يقرأ بلغته الأصلية ، وإلا فإنه يفقد الكثير من روحه وجمالياته والتفت إلى عمران وهو يحاول القبض على الكلمات بأسنانه :

" العجيب أنك تقرأ شيلي بلغة قريش ، كما لو أننا فى (سوق عكاظ) .

ملاحظة :

من عادة القيسي أثناء قراءة نص ما ، أن ينفعل ويتفاعل لأضفاء طابع مسرحي عبر (حركات) متنوعة الإيقاع فتراه يومئ بيديه وعينيه وقسمات وجهه ، عندما يقرأ نصاً ، والشعر على وجه التحديد . وهو يدافع عن أسلوبه في الإلقاء ، بوصفه ضرورة ، لأشعار المتلقي بطقس النص وبيان جماليته ، وإلا ما الفرق بين نشرة أخبار الساعة الثامنة والقصيدة ، على حد تعبير عمران .

الخميس ١٠/٢٨

فى عددها اليوم نشرت جريدة الجمهورية (الملحق الأدبي الأسبوعي) – قصيدتين من أشعاري هما :

- الرحيل والعودة .
- القمر الحزين .

.. فى حديقة الآداب أثير سؤال ، تحول بعد حين إلى جلسة حوار مطولة حول (اليمين واليسار) والثورة والأدب .. ثم الحديث عن تجربة جمال عبد الناصر وتأثيرها على النضال القومي .

المجتمعون يمثلون اتجاهات أيديولوجية شتى ومن بين هؤلاء : فالح ، عامر أدموند، باسمه الصالحي ، سعاد العاني ، فريال ، سهيلة ، محمد طالب ، حامد البغدادي ، افتتح أدمون الحديث فى الحب ، والفكر ، والشعر .. أفضى فى النهاية إلى مواقف متباينة واجتهادات مختلفة بشأن إمكانية إقامة جبهة وطنية تضم كلا الجناحين

(المحافظين والثوريين) فيما ترى سعاد العاني بأن الثورة والوحدة لا تقوم إلا من خلال علم تغيير المجتمع الذي يقف منه المحافظون في الطرف المضاد تماماً ، وعليه فإن الجبهة الحقيقية هي جبهة قوى الثورة العربية (البعث والقوميين العرب)، إنحاز الجميع إلى صف اليسار القومي واعتبار جمال عبد الناصر ، في مقدمة هذا الصف، الذى أفصح عن اختياره للنهج الوحدوي الاشتراكي فى ميثاق عام ١٩٦١ .

قال عامر : الثورة بمعناها التحرري والتقدمي الاشتراكي أكثر حميمية في علاقتها بالفقراء والطلبة والشعراء .

الجمعة ١٠/٢٩

رحلة إلى بحيرة الحيانية :

مَنْ غير بدران الغزال ، يجيد هذا اللون البهيج لنزهة النفوس ؟! هو وحده الذى يعرف كيف يصنع المتعة ويشيع المسرات ، فيعمد إلى تخطيط وترتيب مثل هذه الأنشطة الترويحية .

فقد قام بإعداد وتنظيم هذه الرحلة ، وسعى إلى اقناع الجميع بأن ينضموا إليه. عامر، يحي الخشاب ، عاكف حجازي ، فريدة الزيّاني وشقيقتها منى(*) ، عايد حجازي ، نوال ، وأنا .

.. بهمةٍ عجيبة قاد بدران الرحلة ، ضحك . لعب . غناء . طرائف ، تبادل عايد والغزال الرقص والغناء أشاعا البهجة فى نفوسنا جميعاً ..

.. حتى (الحوار) كان غناءً راقصاً على شواطئ البحيرة الصافية الزرقاء فيما تهف من حولنا نسيمات عذبة آتية من الغرب .

.. أيقنت أن بدران يواصل رحلة البحث عن قلب حان ، وأنه لم يجد بعد المرفأ الذى "يأوي إليه ؟! الرحلة ممتعة بكل جزئياتها وتفاصيلها ولعل صوت منى البحراني الرقيق والعذب كان الأشد حضوراً وهي تغني :

(*) الشقيقتان من(البحرين)تدرسان الادب الانجليزي،وهما جزء من مجموعة عربية بمنهجها القومي الناصري.

"عصرية العيد" .. و "بعيد عنك " !

.. مساء في مقهى العروبة ، دعانا فالح على وجبة خفيفة لدى (الحاج زبالة) تناولنا (البورك) واحتسينا شربت زبيب ، .. أعظم معالم بغداد وأعمقها عراقة حسب السيد النفاخ أربع هي (الحاج زبالة) ، و(الشيخ جلال الحنفي) و(المقام البغدادي) و(سوق الهرج) ، أوصلنا أدموند إلى (المنصور) ، فيما عاد بنا فالح بسيارته (الهولدن) إلى الأعظمية وعند شارع عشرين إفترقنا .

الأحد ١١/١

.. أصبحت مقهى (قادر شلق) في ساعات الظهيرة ، إحدى محطات القيلولة الأثيرة إلى نفوسنا نتوافد إليها تباعاً إثر إنصرافنا من الكلية ، كما صارت مقرأ معروفاً للطلبة البصريين في بغداد ، بفضل محمد طالب وعلى فلك اللذين اتخذا من المقهى عنواناً ثابتاً للمراسلات واللقاءات .

.. وعلى تخوت هذه المقهى ، تعلمت وقرأت على محمد طلب محمد بحور الشهر واستظهرت الكثير من ضروب العروض ، وراجعنا معاً تجاربنا الشعرية ..

وقرأنا وسمعنا عشرات القصائد الرائعة .. وفي هذا (المكان) تعرفت عن قرب على سجايا البصرة التي لم أزرها إلا مرة واحدة تحت ظروف قاسية بالغة التعقيد (عام ١٩٦٣) من سجايا هذه المدينة العريقة :

– طيبة أبنائها ، الألفة الاجتماعية ، المسامرات ، الميل إلى الطرب بكل ضروبه الفنية ، رقة المشاعر ، تذوق الشعر ، الوقوع السريع في سحر المرآة والتوّق إلى (البصرة) فالبصرة لأهلها الوطن الأول ، لا يكاد الواحد منهم يفارقها حتى يحنّ للعودة إليها ، فـ(المكان) هو السيرة الذاتية للكائن البصري . ومن خلاله فقط يحقق ذاته ..!

الأحد ٨ /١١

.. إثر انتهاء المحاضرات واصلت قراءة أرسطو . – كتاب الشعر – لإعداد بحث تحت إشراف الأستاذ مدني صالح .

إذا كانت (الخطابة) الأرسطية مضماراً بات اليوم مهجوراً ، فإن كتاب (الشعر) لقي اهتماماً منذ العصور القديمة حتى زماننا هذا ، فقد أمكن لبعض أعمدة الفلسفة والأدب في الوطن العربي ، كعبد الرحمن بدوي وشكري عياد أن يترجموا هذا الأثر الرائع إلى جانب نقاد عرب محدثين أن يكتبوا عن الصفحات القليلة التي بقيت من ذلك المؤلف ما يكفي لتقدم فن الشعر الأرسطي بصورة تفضي للقول بأن الثقافة الغربية تقدمت في طريق كان المعلم الأول هو أول من رسم معالمه وليس في هذا القول كما يرى جورج طرابيشي أي شئ من الغلو أو المبالغة .

الأربعاء ١١/٢١

أسرني مالك النواس الفنان المبدع إلى أنه وجد نفسه في لمحة من لمحات الحقائق يدخل بوابات الفردوس الأعلى ، بعد أن أصيب بسهام الغرام وإن معشوقته مبثوثة في كل جماليات الكون فى النجم والوردة والأنهار .

النواس هذا الإنسان الوديع ، الرقيق بطبعه ، ترى كيف سيغدو بعد أن انضم إلى مقام الغيبة ؟! هل سيبقي العشق من أثر عليه بعد أن شف قلبه الهوى ؟!

هل سيحتفظ بتلك الحرية المبدعة ، طليقاً كما الطير المهاجر ، محلقاً فى فضاءات الجنون العبقري ، الابتسامة لا تفارقه ، شديد الثقة بالغد ، متفائل بطبعه .

حدثنا فى أحد حوارات قسم الفلسفة عن الزمن وقد نفي أن يكون بين الماضي والمستقبل زمن ثالث !

أما الحاضر فهو إمام الوقت ، ورأس الزمن ، عندها يصبح الماضي والمستقبل محض أطراف هامشية ! .. تتعانق في لوحات النواس الصور والكلمات ، فكتابته

النثرية ليست إلا مشهداً من المرئيات الأنيقة ، فيما تمتلئ تخطيطاته الجمالية بالجمل الرائعة التكوين التي تتسق حركتها مع عذوبة الموسيقى متنقلاً من مقام إلى مقام .

الخميس ١٢/٢

أهدى الشاعر أكرم عثمان يوسف إليَّ قصيدته :

" قصة شجر الصفصاف" التي ، نشرتها الجمهورية في عدد اليوم .

أنهيت إنجاز بحث . الفضيلة والجزاء "

الذى يتناول بالعرض والتحليل الجزء العاشر من "جمهورية إفلاطون" واعتمدت في إعداده عدداً من المصادر – من بينها ، يوسف كرم ونضلة الحكيم وحنا خباز ، وهنرى توماس : **(أعلام الفلاسفة)** !

* * *

الاثنين ١٢/٦

.. اجتمع الفرسان الخمسة فالح ، أدموند والسيد النفاخ ، بدران وأنا تمنينا أن يكون سادسنا (أميجو) الكلب الوفي ، على وجبة من (الجلفراي) فى مطعم سيّار – عربانة – عند ناصية سينما الخيام . تناولنا الطعام الرخيص ونحن واقفون ، المدهش فى الأمر أننا نأكل بشهية مفتوحة كما لو أن إى واحدٍ منا لم يذق طعاماً من قبل ، وبعد انقضاء ملأ البطون الخاوية ، فاجأنا عامر بأن اقتنص فرصة انفضاض الزبائن، فعاد ثانية إلى (العربانة) ليلتقم على عجل ما أبقيناه في الأطباق الأربعة ، وهو يردد كما شيوخ الموالد إياكم أن تتركوا (النعمة) وإلا ستذهب .

.. أحتسينا الشاي فى مقهى – الخيام .

* * *

الثلاثاء ١٢/٧

.. دارت مناقشات حديقة الفلسفة حول الإهمال المتعمد من بعض الشباب سواء ما يتعلق بالنظافة أو التخلي عن قواعد العناية بالمظهر العام تلك الظاهرة التي بدأت تشيع في حياتنا هذه الأيام ، نحو : إطلاق اللحى ، وفتح أزرار القميص .. وعدم الاقتراب من (الماء) ومخاصمة الاستحمام والتخلي عن عادة ارتداء (الجواريب) وغيرها .. ورغم أن مثل هذه الأمور تقع في دائرة الشأن الشخصي ، والحرية الفردية ، فإن هذه الظاهرة كانت مثار جدل في حديقة الفلسفة .

.. إن أية ظاهرة لابد أن تكون محكومة بأسباب ودواع ، داخلية ، وخارجية ، منها: ما هو تعبير (لا واعي) عن رفض ، احتجاج . تمرد . سخط إلخ ..

ومنها ما هو (محاكاة) وتقليد والنوع الثالث (موضة) ، تقف وراءها بيوت الأزياء .

.. والعملية ، بجانبيها الإيجابي والسلبي ، جزء من الاهتمام بالحياة .. فلا شئ يبدو ذا قيمة حقيقية ما لم ينعم الإنسان بالحياة ، والاحتفاء بعوالمها الجمالية ، وكذلك العناية بالفكر وبالإبداع الفني ، تماماً كعنايتنا الشخصية بـ (موضات) الملابس وضروب الأزياء .

فلندع الظاهرة تأخذ مداها ، وأن لا نجعل من موقفنا الذي يتناقض أو يتقاطع معها ، سلطة للحكم ، وإطلاق الأحكام ، لأن هدف حواريات الحديقة هو الوقوف على العلل ومعرفة الأسباب وكذلك الأثر الذي تحدثه في حياتنا الاجتماعية والثقافية أيضاً .

– كرست الظهيرة والعصر وحتى المغرب فى مكتبة الكلية لإعداد بحث عن :

" أبي بكر الشبلي – حياته وشعره" . تحت إشراف الدكتور كامل الشيبي في مادة التصوف الإسلامي .

* * *

رحلة قسم الفلسفة إلى سدة الهندية

الجمعة ١٢/١٠

.. تخلى أدموند في اللحظة الأخيرة عن الالتحاق بالحافلة ، لسبب عاطفي محض ، وهو مجاورة المرأة التى إختطفت قلبه ، بعد أن عاد إليها عقب فترة انقطاع .

.. قد تكون واحدة من بين الرحلات الرائعة التى يتولى الشيبي الاشراف عليها ، أتيحت لنا ولأول مرة فرصة زيارة – بحيرة الأسماك – وتناول (قيمر) الهندية الشهير ، وكان (بدران الغزال) كما جرت العادة في مثل هذه الأنشطة الترويجية نجم الرحلة فقد رقص وغنى ، ولم تكف أصابع عايد حجازي عن قرع الطبلة التى يجيد الضرب عليها كفنان محترف فيما انصرف عامر النفاخ يطوف بعدسته يبحث عن لقطة غامضة ، أو لحظة قلقة ليسجل وجهاً آخر من وقائع اليوم الجميل .

* * *

رحلة إلى الموصل

الأربعاء ١٢/١٥

.. بإشراف الدكتور الشيبي ، حطّ طلبة الفلسفة الرجال فى (الدواسة) حيث يقع القسم الداخلي رقم (٥) الذى خصص لإقامتنا فى وقت متأخر من الليل .

.. تحت وطأة الإحساس المضنّي بالجوع طفقنا نبحث فى كل اتجاه عن (تصبيرة) نتقوّت بها ، واكتشفنا في نهاية المطاف مطعماً صغيراً فى زقاق جانبي ، فاندفع الجميع طالبات وطلاباً لتناول (الجلفراي) وهو الوجبة الوحيدة المتوفرة على قائمة الطعام في تلك الساعة المتأخرة من الليل .

.. المفاجأة الكبرى كانت فى الثالثة صباحاً عندما أيقظني (مغص معوي) حاد ، فقمت مهرولاً أبحث عن الحمام ، ففوجئت بأن معظم الزملاء والزميلات قد سبقوني

إليه وهم يتزاحمون فيما بينهم على الدخول ، وكل واحد أو واحدة فى حالة يرثى لها، فهذه تتأوه ، وهذا يمسك بطنه ، وثالث يثب على قدميه متوجعاً ، ورابع يدق باب الحمام بقبضتيه يستعجل الخارج الداخل ، نحن جميعاً مصابون بإسهال حاد ، الذي لم يعد سببه خافياً على أحد فقد كان من جراء تناولنا (الجلفراي) وهو من لحم (الماعز)، ذى الكثافة الدهنية العالية ، مما لم نعتد عليه .

.. رغم المعاناة القاسية ، والتأوهات ، بل والصراخ أحياناً من شدة الآلم ، فإن التراجيديا سرعان ما انقلبت على عقبيها ، فقد انتابت البعض منا نوبة من الضحك الذي بدا للوهلة الأولي بكاءً ، تحول بعد حين إلى ما يشبه عواء الكلاب الهائجة بعضنا يتقلب في فراشه أو على الأرض ، الأمر سيان عنده (العويل والقهقهة) ، إذْ اختلطت التأوهات بالصراخ والشكوى ، وتداخل الحابل بالنابل .. ، فضج الجميع بضحك هستيري متواصل ، ما إن يكف أحدنا حتى ينفجر الآخر .. نضحك ونحن نتأوه .. نقهقه ونحن نصرخ "

ربما لأننا اكتشفنا فجأة بأن القسم الداخلي رقم خمسة على سعته ، لا يتوفر فيه إلا حمام واحد ، .. وأن الداخل إليه (مفقود) والخارج منه (مولود) ، فالذي يحظى بفرصة العمر هو فقط الذي ينعم بدخول الحمام ، وعندما يستقر هناك ، يود ويتمنى أن يقيم فيه أبداً ، ولعل هذا لوحده كاف لأن يسمى الحمام في أدبنا الشعبي بـ (بيت الراحة) ، الذي بفضله دون غيره من يخفف من وطأة الألم عقب تلك النوبات البغيضة التي كادت أن تمزق أمعاءنا ، بعد أن أشعلت في مقاعدنا لهباً من حميم .

.. وأخيراً تذكر المشرف على القسم الداخلي الذي كان يتثاءب طوال الوقت بأن ثمة حمام مهمل على (سطح البناية) .. فهرولنا بأثره نرتقي السلالم فرحين ، وكل واحدٍ منا يمني النفس بالفوز والوصول الأمن إلى (بيت الراحة) مرفأ (الحرية) السعيد، بعد عذاب الانتظار ، خلدنا للنوم فى الخامسة صباحاً فيما بقيَّ فالح شبه مقيم في الطابق الأعلى ، ما إن ينعم بشئ من إستقرار الحالة ، حتى يعدو صوب الحمام قابضاً على بطنه بيديه وهو يتأوه مردداً "أوّيلاخ يابه .. منهو عليْ جابه ؟! " . وقد

أنهكت نوبات الإسهال الشديد قوآه إلى الحدّ الذى فقد الكثير من السوائل فأصابه الوهن من جراء الجفاف الذى ألزمه الفراش .

* * *

الموصل الخميس ١٦/١٢

.. طلع الصباح فى العاشرة

الوجوه صفراء

والقسمات شاحبة

جئ للبعض بعلاج

انطلقت الحافلة إلى (النمرود) المدينة العظيمة التى شيدت فى عهد – سنحاريب – تجولنا بين الإطلال ..

ووقفت قدام الإنسان الاشورى الذى عرفته منذ طفولتي الأولي ينتصب بقامته الشامخة بثبات وأقدام على جناح بوابتي أشور فى علاوى الحلة فى الأربعينيات قبل أن يشيد المبنى الحالي لمتحف بغداد .

.. وفي (دير مارى) أوقدت الطالبات الشموع ، فيما أدى أدموند والهام مراسيم الزيارة ، .. وأديّا معاً بخشوع الصلاة .

.. فى الثانية والنصف بعد الظهر عُدنا إلى القسم رقم ٥ .

.. وفي الرابعة عصراً اخترنا جولة حرة إنتقيتُ من (الدار القومية) كتابين هما : " أخوان الصفاء " و" الفلسفة الإسلامية" .

.. ثم حملتنا الحافلة إلى رحاب الجامعة ، تجولنا فى أنحائها (المهيبة) التى لابد أن يدرك الزائر لها بأن جهداً كبيراً مبذولاً من حيث : حسن المتابعة والتنظيم والنظافة، والمساحات الخضراء التي تنتشر بين المباني والقاعات ،

.. وأهم معالمها – المكتبة المركزية ، والحجم الهائل لخزائاتها ، وآلاف العناوين

للمصادر والمراجع والكتب والدوريات ،
.. أثناء التجوال ، ما لبث فالح أن أمسك بطنه وهو يكتم ألمه "إسهال" ، فعدونا نبحث عن مكان يأويه ، وهو يثب على قدميه متوجعاً . ولم يتخلّ حتى في لحظة الألم عن دعاباته وهو يهزج متأوهاً :

"يا ويلاه ويابونه .. بطني صارت صابونه " ..

" يا ويلاه ويابونه .. وبّينْ الدربونه " ..

.. رافقنا فى الجولة الدكتور الشيبي وزوجته ومن الطلبة :

سهيلة أحمد ، فريال ، هدنة ، خالد خليل ، عامر ، إلهام ، باسل الدوري ، بدران خليل ، مالك النواس .

.. عدنا إلى القسم الداخلي فى السادسة مساءً وبعد استراحة قصيرة اقترح عامر أن نصحبه فى جولة حرة أخرى (فالح وأدموند وأنا) .. تولى السيد النفاخ دور الدليل ، فقد عرف المدينة وخبر طرقاتها . بعد أن تردد عليها عشرات المرات خلال السنتين الماضيتين .. وأصبحت لديه دراية عميقة بأرض وسماء الموصل . يلّم بتفاصيل الحياة فى مرابعها ، المقاهي ، الفنادق المطاعم المنتجعات ،

.. وعرف الخوافي ، البؤر الغامضة ، وإسرار الليل بين أروقة المغاني والملاهي .. وعقب مرور ساعتين من التطواف ، شعرنا بحاجة إلى الراحة من عناء السير فى الطرقات والأسواق ، إنتبذنا ركناً فى مقهى (أحمد بارى) ، التى سبق أن ارتدتها بصحبة محمد طالب وبدران وخالد خليل ..

.. لعب عامر وفالح (الدومنيو) ، فيما أمضيت وأدموند جولتين فى (الطاولة) ..

.. ونهضنا فى التاسعة مساءً ، أصّر السيد النفاخ أن نواصل السير على الأقدام

.. لنقف بعد حين أمام دار عامرة عالية الأسوار ، فيومئ بيده قائلاً وهو يردد بصوت تخنقه العبرات :

".. على تلك النافذة المطفأة العالية علقت قلبي ، وتركته هناك"؟!

.. لم نشأ أن نتخطى الموقف أو نترك الذكرى تشقي قلب السيد النفاخ ،

فعدنا أدراجنا للدواسة ونحن نبحث عن شئ من شراب "النعناع" ؟!

الموصل بغداد

الجمعة ١٢/١٧

٩/٣٠ صباحاً ، تناولنا الفطور فى منطقة (باب الطوب) ، وأمضينا حوالي الساعة فى كازينو (النهرين) .

فجأة اختفي السيد النفاخ ، غاب عن العيون ، بحث الجميع عنه ، بلا جدوى ،

قال مالك النواس : سمعته يقول إنه على موعد مع صديق عزيز عليه ، فى منطقة الغابات .

قال الدكتور الشيبي :

" .. إذ لم يأت فى الوقت المناسب فأن القطار سيفوته " .

١١/٤٥ أطل السيد النفاخ وهو يتمايل جذلاً مغتبطاً وسعيداً .

١٢/١٠ – تحرك القطار تاركاً الموصل ،

متجهاً صوب بغداد .

.. استذكرنا فى رحلة العودة صواني وإطباق (الكبة الموصلية) التى حملها إلينا بدران الغزال وخالد خليل الراوي إلى القسم فى اليوم التالي لوصولنا بعد أن اعتذر الدكتور الشيبي تلبية دعوتهما فى بيوتهم ، لأنه لا يريد أن يكلفهما ، ولعل الدكتور كامل أراد أن يرفع الحرج عن الطرفين .

الثلاثاء ١٢/٢١

فى الثالثة والنصف عصراً ، أقام أساتذة وطلبة قسم الفلسفة الحفل السنوي على شرف الطلبة الجدد فى السنة الأولي .

ألقيت قصيدة بعنوان "تحية إلى الفلسفة " بهذه المناسبة .

فيما أبدع فالح وعامر فى تقديم تمثيليتين هزليتين ، أضحكت الحضور كثيراً ،

وصفق لهما الجميع .
لقد أدهشنا فالح بأدائه المتقن الرائع ، وكأنه أحد نجوم الكوميديا ، كما لو كان محترفاً حاذقاً بهذا الفن ، إنه يمتلك طاقة هائلة فى هذا المضمار .
وقد أسهم العرضان فى نجاح الحفل بامتياز حسب شهادة الأساتذة الشيبي ، وياسـين خليل .
وقبيل الاختتام قدم الفنان داود العاني بعض أغانيه .
رصد ريع الحفل حوالي (١٦) ستة عشر ديناراً لصالح مجلة القسم (الفكر الجديد).
* * *

الأربعاء ١٢/٢٢

حديقة كرادة مريم .
الاصغاء للغة العيون ، ووجيف الأفئدة . أنها (حلّية) التواصل الذى يستولد . لذّات لا نهاية لمسراتها ، كما لو كانت خيوط حرير ناعمة الدفء يتوقف عنـدها اللـسان ، وينحلّ سلطان الكلمات ..
.. وفى المنتهي تنزلق العبارة ، تنسلّ من بين شفتيها كحبات الضوء متأججة بالنـار وبالألوان والظلال ، حاملة العجائب . عسلاً ولبناً وشراباً طهوراً .. ينتـزع الظمـأ المجنون .. فتورق الحديقة بالمطر .
ماذا نكتب لهذا المساء أو ماذا تقول غداً ، فالشتاء العقيم الذي كان مقيماً قبيل سـاعة من زمن ، لم يعد فيه متسعاً لعبارة : " برداً زمهريراً ، قاربـت حـرارة القلـب أن تصليّ ورق التوت ناراً حامية .
هكذا يتعين على كتاب الغرام التليد أن يشق في الأرض اليباب نهراً يتدفق قريـضاً ، ويفيض شعراً ، منشداً أغانيه في قلب الزمان وعلى طول المدى ، بوْحـاً وسّـراً .. ويقيم في أفق الوجود حدائق الورد .. وعندها فقط ترفع الفاصـلة المتوهمـة بـين الوجود والعدم وبهذا فقط قد نكتب للغد بياناً آخر .

في المساء جبت شوارع الأعظمية مشياً على الأقدام تجولت في (السفينة) ومــررت بأحيائها القديمة ، صاعداً إلى شرفات النهر الذى بدا ساحراً إمتصت مياهه الأضــواء فتحولت صفحته المنبسطة كما السماء تتلألأ بالنجوم السابحات على شواطئه المتألقــة بموجات ملّونة .. إجتزت الكورنيش من أَول السفينة حتى الجسر الحديدي ، وعــدت ثانية صوب ساحة عنتر ، وسمعت صوتاً يناديني في ضفة الشارع الأخــرى ، كــان عامر العزاوي وفوزي القلمجي ، إلتقينا عند ناصية مكتبــة الــصباح ، واتفقنــا أن نمضّي ما بقيَّ من الليل في لعب (النرد) ، في مقهى العروبة ، تــسارعت خطانــا ، وفي الواحدة بعد منتصف الليل كانت النتيجة قهقهة عالية أطلقها عامر صقر إعلانــاً بفوزه الساحق علينا معاً ، فوزي وأنا .

الخميس ١٢/٢٣

فى عددها اليوم نشرت جريدة الجمهورية فــى ملحــق الأدب الأســبوعي قــصيدة " أناشيد ناعور الدم " .

السبت ١٢/٢٥

فى العاشرة من صباح اليوم انطلقنا الى المنصور بصحبه فالح قره علي وانضم إلينا عامر و بدران غزال ٠ قدمنا التهنئة لادموند وللعائلة لمناسبة عيد الميلاد المجيد .

أمضينا حوالى الساعتين فى حجرة الضيوف وسط جو أسري بهيج، أصرت أم ادموند أن نتناول الغداء على مائدة العائلة بحضور السيد ماكي وادوارد و وليم وآنيت وسونيا وولديهما رافى ورامى .

الأحد ١٢/٢٦

السابعة مساء- قاعة الخلد

عرضت فرقة المسرح اللبناني الحديث مسرحية يوجين يونسكو -الملك يموت - ساعتان من المتعة والدهشة ، بعد أن ارتقى الأداء إلى مستوى النص، فهماً واستيعاباً ، في ثنائية (الحركة) و(الحوار) اللذين أفضيا بدورهما إلى تجسيد لغة داخلية غير مباشرة ..

مما جعل المتلقي ينتقل بوعيّه من مشاهد أو (متفرج) إلى (مشارك) يختلج توْقاً وتوتراً .

.. التقيت فى القاعة ، بدران غزال وسعاد أركان ، ومكلف نجم ،

الجمعة ١٢/٣١

من أجل أن نتألق تماماً وتبدو أنيقاً لا يكفى أن ترتدي ثياباً نظيفة أو متسقة الألوان ، بل الأهم من كل هذا وذاك أن تتأكد أولاً و قبل كل شئ أن (حذاءك) لامعاْ، لان العين تلتقط الحذاء والرأس قبل أن تأتي إلى التفاصيل الفرعية الأخرى ، هكذا بدأ بدران طقس الاحتفاء براس السنة قبل أن نضع خطواتنا الأولى فى الشارع فى طريقنا إلى أدموند فى المنصور .

تألق فالح كعادته فى مثل هذه الليالي فى أداء (المقام) البغدادي ٠ بعد أن إشتدّ الوجد بالفتية وهم يتمايلون طرباً ذات اليمين والشمال .

في اللحظة ذاتها أطل السيد النفاخ يتأوه تحت وطأة قلبه المسحوق ، وهو يستعيد مشاهد اللقاء الأخير مع محبوبته الحاضرة في وجدانه .

.. عندما أوشك العام الجديد أن يبدأ رفع وليم قدح النعناع الأخضر هاتفاً

بـــ (صحة الجميع) وحده أدمون الذي كان طوال الليلة يقظاً لم يقرب عصير النعناع ، مكتفياً باحتساء المشروبات الغازية .

في الساعات الأولى من صباح اليوم التالي انغمزنا بسلسلة متدفقة من المرح الصاخب ، والطرف العابثة .

١٩٦٦

الخميس ١/٦

لم أحظ بنسخة من **(ملحق الجمهورية الأدبي)** قال باعة الصحف : **(نفدت النسخ)** ، اضطررت للذهاب إلى مبنى جريدة الجمهورية . صافحت إبراهيم زاير الذي بادرني قائلاً :

وباستحياء شديد وبأدب جم : " أأمل أن لا تلهيك المناسبات كثيراً ، دع غيرك يقرض لها ما شاء من الأغاني والأشعار .. لأن مثل هذا اللون ، يفتقد لعنصر الإبداع ، وهناك شعراء تحت الطلب حاضرون في كل الأعراس والمآتم ، يدورون بقصائدهم البليدة في الأسواق " .

.. أبديت امتناني لإبراهيم وهو يسدي إلى بهذه النصيحة الذهبية ، ووعدته بالامتناع عن شعر المناسبات الذي فات الزمان عليه ، ولولا الألفة التي تجمعني بزملائي في الفلسفة ، لما أقدمت على كتابة هذه القصيدة " تحية إلى الفلسفة " .

سلمته قصيدة : " المرثية الثانية" ! ومضيت إلى "الآداب".!

الخميس ١/١٣

نشر الملحق الأدبي اليوم المرثية الثانية .

مساءً : قراءة فى كتاب "الآجال" والكلاسيكية لدى **(هولمة)** تعنى :

أن الإنسان حيوان ثابت محدود للغاية يتميز بطبيعة مستمرة وراسخة

.

لذلك لا يمكن أن يصدر منه أمراً معقولاً دون اللجوء إلى الأنظمة والتقاليد من حوله.

وقد أدى ظهور الكلاسيكية الجديدة فى القرن الثامن عشر اهتماماً شديداً بالعقل دون أن تتخلى عن القواعد القديمة والتقاليد القائمة فى مقابل ذلك كله يظن الرومانسي أن الإنسان عالم لا نهائي ، ولهذا فأنه يتحدث عن اللانهائية بصفة دائمة إنه غالباً ما يطير فوق المهاوي ، محلقاً فى الأجواء الخالدة ؟!

الجمعة ١/١٤

تثير الطبيعة جدلاً حراً مفتوحاً في صف الفلسفة سعياً مثابراً إلى محاولة فهم وإدراك القوانين الفيزيائية إلا أن هذه المحاولة لن تتم إلا عن طريق تجريد عامل الصدفة وإسقاطه من الأحداث .

لكن هذا الإقصاء الذي يفترض أن يوفر رؤية تحليلية للأشياء من حولنا ، لن يقدم لنا فى نهاية الأمر إلا نتيجة لسببية غائبة تلزم الإنسان أن يعتقد بأن العالم انبثق لأجل شئ . من الممكن أنْ نصل إليه ونعلمه ونفهمه أيضاً ؟ ! .. وقد ينفلت الشئ ويتناءى عن وعينا ، فنفقده مرة واحدة وإلى الأبد ؟!

الخميس ٢٠/١

نشرت جريدة صوت العرب فى عددها (١٥٣) قصيدة لي بعنوان " الظل والصدى " وهى مهداه للصديق خالد حبيب الراوي .. وتجئ هذه القصيدة إثر قراءتي لواحدة من إحدوثات مجموعته المعدة للنشر ، والتي يناضل (البطل) ويتحرك فوق مساحة ضيقة من (النص) ليظفر بوّد إمرأة في(الأربعين) من عمرها المديد ؟!! .. يشقيه الدوران حولها ، ويوجع فخذيه الانتظار وهو يتطلع بكل غرائزه المستنفرة إلى القامة الأنثوية الممشوقة والجسد اللّدن ، والنهدين النافرين من كوّة تتسع فيها مديات الرؤية ، فيسقط إطار (الكوة) البليدة ، يحدث ضجيجاً ، فيقفز (البطل) من فراشه السقيم فزعاً ، ليكشف تحطم زجاج صورة جده على الأرض .. ولم يبق من حلمه السعيد إلا الظل والصدى .

الخميس ٢٧/١

تصدر الملحق الأدبى اليوم قصيدتي : "مرثية المطر" التى أهديتها إلى ذكرى صوت العراق الندىّ بدر شاكر السياب

علق عمران القيسي على ظاهرة القصائد الأسبوعية بأنني " مصاب بحمّى النشر " ومن سوء هذا الداء اللّعين ، هو الوقوع تحت سحر الانتشار (الكمي) الذي قد يؤدى إلى إهمال جوهر الإبداع فيتحول النص الشعري إلى محض كلمات مرصوفة قد تعنى بالوزن ولكنها حتماً ستكون مفارقة لشرط الخلق .

.. إن ولادة القصيدة شبيهة بمواجهة الوجود والعدم قد يموت فيها الشاعر أو يحيا وهو في مكابدة مستمرة بين الفكرة والصورة والبناء ، .. كيف تتحول الومضة إلى شرارة .. تستحيل إلى جمرة مضيئة ، باعتبارها خلقاً جديداً .. " وبخلاف ذلك فإن النص سيكون أقرب إلى الميكانيكا ، أو الآلية المبتذلة" .

.. ولدى مكلف نجم السر العميق الذي جسده بقوله : بان تدفق الشعر يجعله أحياناً هادراً كما الشلال المتصل وهو أمر لا نملك منعه أو تجاهله ، فما يعتمل في رؤوسنا من أفكار ، وما تضج به قلوبنا من عاصفة مستعرة ، يجعلنا نركض كما الخيول في البرية المفتوحة الآفاق .

رد القيسي ، " الذي أخشاه من هذا الشلال أن يجرف الحدائق من حوله ، ويطيح بجماليات الأشجار والأزهار .. فلا تبقى إلا المياه الراكدة ! .

.. وانغمرنا في ثرثرة عن صبايا الآداب ، وعن فنطازيا الوجودية !

السبت ٢/٥

الحادية عشرة صباحاً – مقهى البلدية .

عمران القيسي . مكلف نجم ، حامد البغدادي ، كاظم العجيل ، مالك النواس .

ثرثرة عن الشعر ، الوجودية .

مساءً : المباشرة بوضع اللمسات الأخيرة لبحث (فلسفة جون ديوي)

تحت إشراف الدكتور نجم الدين بازركان في مادة الفلسفة الحديثة الذي ترددت كثيراً قبل الشروع فيه ، وحاولت مع الأستاذ استبداله ببحث آخر ، لأنني لم أجد حماسة كافية في الإقبال عليه ، مهما يكن فإن منجزاته تنصرف إلى (الأخلاق) و(علم النفس) و(التربية) بوجه خاص ، لكنه استطاع توظيف دوائره المعرفية الثلاث في كتابه : (إعادة البناء في الفلسفة) الذي أدان فيه الميتافيزياء والتأملات ، والنظر العقلي ، وكل أشكال الفكر الماورائية ، معتبراً إياها ترفاً لا طائل له .. أما الأمر الأكثر خطورة في فكر ديوي هو إيقاظ الذرائعية ، فالدليل عنده لقياس صواب فكرةٍ ما والحكم على قيمتها يكمن في نظره في الجواب عن السؤال التالي : " هل تسير سيراً حسناً ؟! هل هي (نافعة) ؟! فالمسألة الأساسية في فكر هذا الرجل هو إبرازها لقيمة النزعة الفردية ولذلك وصف بأنه الفيلسوف الأكثر حضوراً والقائد للفلسفة الأمريكية ، فقد أنغمر بالذرائعية أو تلبس بها ، وعدا هذا فهو من وجهة نظر برتراند رسل: " تحرري في نظرته " رغم عدم موافقته في أكثر آرائه الفلسفية " .

الثلاثاء ٢/١٥

جلسة نقدية بصحبة ثامر العزاوي ومحمد طالب محمد في حديقة الآداب . كان فيها ثامر عاصفاً متفجراً عنيداً في المواقف والأحكام حيال التجارب الشعرية الجديدة التي تجاوز الكثير منها الأوزان ، الإيقاع ، التفعيلة ، المضمون حتى أصبح الكثير من هذه التجارب محض كلمات متباعدة ، العلاقة الوحيدة القائمة بينها هي (اللامعقول) ! نزلنا إلى الميدان ، تناولنا

وجبة (كباب) في مطعم (الجمهورية) ، واحتسينا الشاي في مقهى البلديـــة ، التقينا هناك الشاعر عبد الرحيم العزاوي الذي أصر أن يدفع الشاي نيابة عنا ، بعد أن قرأ علينا واحدة من قصائد المتمردة .

يظل ثامر العزاوي مجادلاً ، متمرداً ، منظماً ، عابثـاً ، يلتقـي فـي منهجه المعرفي المثالية والمادية ، الديمومة والصيرورة ، وهو يحاول إثـراء ثقافته بقراءات معرفية متنوعة إلى جوار الفلسفة ، المسرح والأدب ، ليخلـق في النهاية عمارة جمالية في نصوصه الصاخبة وفي تعليقاته المثيرة للجدل .

وفي كل الأحوال فإن ثامراً في (الفلسفة) ظاهرة مدهشة في حياتنـا الجامعية، رقيقاً ، فظاً ، مرحاً ، قاسـياً ، تتجـاور علـى لوحتـه تناقـضات لا حصر لها ومن مقولاته الشعرية الساخرة التي غالباً ما يرددها عند احتـدام المناقشة : لقد ليصتْ ، ولِيصَ لِواصُها

فإذا لِواصُ لِواصها مليوصا

... وهو دائم التغنّي بأشعار أدونيس

ولا يكف عن ترديد :

" **زِدْ ألقاً .. قُلْ قصيدةً وامضِ .. زِدْ سعةَ الأرضِ** "

الثلاثاء ٢/٢٢

نشرت جريدة صوت العرب قصيدة لي ، عنوانها : " **العالم حزن** " .

السبت ٣/٤

قصيدة : " أغنية للغد " ، جريدة الفجر الجديد ، العدد ١٢٣٥ .

قال الراوي : ما بين (العالم حزن) و(أغنية الغد) تتبـــدى ماهيـــة الصراعات النفسية القائمة بين الضدين المتنافرين (الديمومة) و(الـــصيرورة) ، وهذا من شأنه أن يفسر أيضاً هبوط وارتقاء العلاقة مع (الآخر) الذي إنْ نأى بعيداً ، أو طال غيابه فإن (العالم) يفقد بهجته ويـــستحيل الوجـــود إلـــى عذاب أليم .

وعلى النقيض من هذه الصورة المعتمة ، فإن (الوصال) و(القـــرب)
و(التلاقي) ، يوقظ الشمس قبل موعدها ، مثلما يبعث فـــي الـــنفس تفـــاؤلاً متوهجاً بالأماني ، عندها ينشد المغني قصيدته .. فيبعث بها إلى الغد !

الأحد ٥/٣

.. العودة إلى (مارتن هيدجر)

تبقى الحرية القضية الأولى التي تشغل عقله أكثر من أي شئ آخر

إذ كيف يمكن أن نزعم بأن للإنسان حرية طليقة لا تعرف الحدود ؟!

وهو الكائن العاجز عن التحليق في الهواء ، فالإنسان لا يستطيع قهر مرضه ، بل حتى تجاوزه أو نسيانه !

بل إنه لا يستطيع نسيان واجباته وعاداته لمجرد أن يدير لها ظهره .

إذ كيف يمكن القول أن للإنسان حرية أكبر مما تعني ؟!

.. الحياة ليست إلا استعداد لشئ لم يحدث من قبل .

إن الإنسان في رأيه يحتاج إلى عاداته لتنقذه من الحرية المطلقة . قد تكون الحرية أخطر عدو للإنسان .

وأن الإنسان لن يعرف الحرية الحقيقية إلا في مواجهة الموت .

لأن الموت هو قمة التهديد وغاية المحدود ، وهو ما يحمل الإنسان على إدراك هدفه ورغبته الملحة في الحياة .

وان ما يحتاجه الإنسان ليس الحرية ، فهو يملك منها أكثر ما يستهلك، بل يحتاج إلى رؤية الهدف الذي يسعى للوصول إليه ، والظفر به .

الثلاثاء ٣/٧

في مادة (المذاهب الفلسفية) ، أفتتح مدني صالح محاضرته بالتعليقات الآتية " الخشن يأكل الناعم فيزيائياً ، في حين لدى الإنسان ، المعادلة مقلوبة لأن الناعم يأكل الخشن " !

" .. الناس ينظرون إلى الفلسفة ، مثلما ينظر الجندي إلى الجنرال ؟! خوفاً ورهبة ومقاماً ؟!

في حين الفلسفة منظمة للناس ، لكنهم يخشونها ، لأنهم لم يحاولوا الاقتراب منها .

الفلسفة تعطيك ضبطاً قائماً على الإقناع العقلي .

أما اللافلسفة فلن تعطيك سلاماً ، بل نظاماً قائماً على الخوف ولا كرامة لخائف !

.. أيقظت تعليقات مدني صالح الأسئلة ، إذا تجاوزنا التعريفات التقليدية ، الشائعة والمعدة سلفاً ، فإن من اللافلسفة أن تصطنع لها تعريفاً ، إلا بالمعنى الواسع ، العريض ، العام الذي نتجاوز به الجزئيات إلى الكليات ..

ولذلك فإن وضع تعريف جامع مانع ، لم يعد معضلة ، لأن لكل فيلسوف منظومة خاصة به من المفاهيم طبقاً لطريقة تفكيره ، ومنهجه الخاص ورؤيته الفلسفية ومشروعه المعرفي ، ولأن (السؤال) و(النقد) و(التأويل) و(التعليل) هي وغيرها من المصطلحات والأدوات ، التي يستعين بها

الباحث في الفلسفة لإيضاح رؤيته أو تحديد موقفه ، فإنه والحال هذه لـم يعـد بالإمكان وضع تعريف وإلا اعتبر تعريفاً (قْبلياً) وحكماً مسبقاً .

وعليه فإن التعريفات قديمها وحديثها توضع في إطارها التأريخي وفي سياق المرحلة التي إنبثقت فيها ، بل وفي نسبة القول إلى صاحبه ، فقـد قيـل مثلاً : بأن فيثاغورس أول من وضع معنى محدداً لكلمة فلسفة ، بعد أن نـسب إليـه أنـه

قال : " إن صفة الحكمة لا تصدق على أي كائن بشري إنما الحكمة لله وحده " . ولذلك وصف نفسه بأنه ليس حكيماً بل محباً للحكمة وحسب ، فيمـا يـرى الدكتور حسام الآلوسي ، بأن الفلسفة هي معرفة الحكمة وليست محبة الحكمة.

.. وفي رأي بعض الماركسيين " أن الفلسفة هي علم تغيير المجتمـع " .. هذه المفارقات في التوصيف والتعريف ، تنطلق مـن (الايـديولوجيات) وليس من الفلسفة ، لأنها تقوم على (التبرير) وتجاوز (النقدية) التي تعد الصفة الأساسية لها.

الخميس ١٠/٣

نشرت لي اليوم قصيدتان :

من أسفار الحزن / ملحق الجمهورية الأسبوعي .

التكوين الأول – جريدة صوت العرب .

في الظهيرة – جلسة شعر في نادي الآداب شارك فيها ، مكلف نجم ، جان دمو ، عمران القيسي ، .. عقب قراءاتنا الشعرية ، حديث عـن ديـوان

أدونيس (أغاني مهيار الدمشقي) ، ومجادلات طويلة عن القصيدة الأولـــى ، أو جوهرة الديوان ، أجمعنا ويصوت واحد على : " جسر الدمع" !

.. لكن الشئ الطريف أن (أدونيس) أصبح ظاهرة في الحياة الثقافية ، بعد أن لجأ كثير من الشعراء الشباب إلى توظيف مفردات قاموسه الشعري ..بل أن البعض وقع تحت تأثيره بالكامل . بدرجة فاضحة وصل فيه التقليد إلى حد (الاستنساخ) الآلي ، لنصوص بعينها في (قصائد أولى) و(مهيار)، وكل الذي يبذله هؤلاء (المقلدون) هو استبدال كلمة من هنا ، ورفع أخرى من هناك ، الأمر الذي حول بعض هذه القصائد (المزوّقة) بألوان متنافرة ومضحكة أيضاً إلى ما يدُعى بـــ (شعر المهرجين)؟!

الأربعاء ٨/٣

انطباعات الطلبة عن أساتذة الفلسفة :-

<u>١- ياسين خليل :</u>

علم غزير – عقل فطن . أســـلوب جـــاف . يعلـــن إيمانـــه العميـــق بالوضعية المنطقية ، وفي ذات الوقت يفصح عن ولائه للقومية العربية ويقينه الراسخ بتحقيق الوحدة العربية الشاملة في نهاية القرن العشرين !

<u>٢- جعفر آل ياسين</u>

يميل إلى الطريقة التقليدية في التعليم قراءة وإمــلاءً ، يفــسر الــنص بالنص ، ويلتزم به حرفياً معجب بسيرة ملا صــدد الــشيرازي ومــن أشــد المتحمسين لفلسفته الإشراقية ، لا يميل إلى الحوار ويضيق صدره بالأسئلة .

<u>٣- صالح الشماع :</u>

أمضى سنة كاملة وهو يدور بنا حول مفاهيم علم النفس العــام ، دون أن نتعرف على عالم أو نقف على مدرسة ، يستخدم أسلوب الشروح الــشفهية باستثناء شذرات متباعدة .

<u>٤- مدني صالح .</u>

فيلسوف بامتياز . عقل نقدي .

في رأيه أن أفلاطون هو إمام الفلسفة قديمها وحديثها ، ولا يوجد مــن ينازعه على إمامتها ، وأن كل التيارات الفلسفية والأيديولوجية تبدأ منه وتنتهي إليه؟! ومن فضائله العلمية : حرية الرأي ، والحث علــى الحــوار ، وايقــاظ الأسئلة (المحرمة)!

<u>٥- عبد علي الجسماني .</u>

يستخدم لغة جافة غريبة الألفاظ ، بحيث نضطر عقب كل محاضـــرة لإجراء ترجمة جراحية ، لتحديث النص في محاولة لفهم محاضرته الغامــضة .

<u>٦- نجم الدين بازركان .</u>

أضفى على محاضراته في (نظرية المعرفة) التقاليد الغربيـــة فـــي التعليم وأتاح فرصة المشاركة للطلبة مناقشة وحواراً أو موقفاً .

ومن أبرز تقاليده الاكاديمية : حرية الرأي ، والتفاعل الخلاق علميـــاً واجتماعياً، والحث على إلقاء الأسئلة .

<u>٧- حسام الآلوسي :</u>

لم نتلق عليه درساً بعد ، المنقولات تشير إلى إسلوب نقـــدي ، وعقـــل متفتح ، وميل واضح إلى المنهج الجدلي التأريخي !

الخميس ٣/١٧

بين الثرثرة ، والتعليقات ، وصخب النّـــرد ، الـــدومينو ، الراديـــو ، الزحام . قرأ الشعراء طهمازي ، سركون بولص ، شريف الربيعي ، ريـــاض قاسم ، عبد المنعم الأعسم تجاربهم الأخيرة في جلسة استرخاء علـــى تختـــيْن متقابلين في مقهى الآداب بشارع الخيام حدد عبد الرحمن طهمـــازي بعـــض

ملاحظاته على النصوص، بأسلوبه المهذب الهادئ والذي غالباً ما يستخدم عبارة (لو أنك) الافتراضية ؟، غير المباشرة.

.. أخرج الأعسم (ربعية) من العرق وعبَّ رشفتين متتاليتين منها ، واعادها إلى جيبه .

قال الربيعي موجهاً كلامه لمنعم :

" كيف تطيق (المستكي) دونما مزة وفي مثل هذا الوقت من النهار "

ضحك الأعسم ورد ساخراً .

" .. دعك من البديهيات ، واسمعني شيئاً من البراهين " .

– أما قصائد سركون فأن من الصعب أن تميز بينها وبين النصوص المترجمة ، فالفضاء الشعري يكاد يتماثل في الصّور وقد يتعداه إلى التفاصيل!

واعتبره نموذجاً لمحاكاة الشعر الأمريكي .

السبت ٣/١٩

أعدنا اليوم مرة أخرى مجد حواريات العشب لحديقة الآداب .

هو ذا عبد الهادي خلف البحراني ، يتقلب على العشب مغتبطاً سعيداً ، الذي شغف حباً بوجودية المقاهي فتعمد إهمال شعره وملابسه بعد أن ظن أن اعتناق الوجودية يقضي أن يتخلى عن أي نظام ، ويتحرر من كل قيد .. بل أننا وجدنا (شاعراً) في مقهى الخيام يتأبط كتاب (الوجود والعدم) .. وكانت

أولى مقولاته أو إعلاناته " تحروا من قيد الجواريب ، فأنها تحد مـن حريـة القدم ، وتعزلّه عن محيطه الحقيقي " .

أما جان دمو فقد قدم لنا موعظة في الشعر الجديد ، فهمـت منهـا أن قيمة القصيدة الخالقة هي التي تفصح عن هويتها بإسقاط العروض التقليـدى ، وتنأى عن (المباشر) وتوقظ المرئيات الغامضة ، اللامجربة ، وتحرر نفسها من قبضة الأخيلة الرومانسية .. "

.. صفق عمران القيسي ، فيما اعترض على (الرومانسية) قائلاً :

" عزيزي جان "

واقعيتك الجديدة لم تبق من الجمل إلا أذنه ؟!

.. ولو أننا تجاوزنا ما تتقد به (الأفئدة) من جمرات البْوح والغرام ، فأن قصائدنا لن تكون إلا نصوصاً صامتة خرساء . وأن كلماتها الباردة ، لـن تزيد حياتنا إلاّ مزيداً من الخواء واللاجدوى .

الاثنين ٤/٢٥

في مساء اليوم لم أجد بجانبي إلا (دنيا المستقبل) فتجولت في عـالم (ويلز)(*) المثير – إننا لـم نـستطيع أن نتجـول فـي الـزمن ، ذلـك أن الاسترجاعات المتكررة للزمن الماضي ولحوادثه (ممكنة) ، ولكنهـا قـصيرة ومحددة في وقائعها . وليس بوسعنا أن نستعيد كل التفاصيل والجزيئات التـي عشناها فالرجوع في الزمن للماضي يمثل قفزة للوراء .

(*) إشارة إلى روايته الرائعة (آلة الزمن) المفهمة بالخيال العلمي واليوتوبي معاً .

كذلك الإنسان تمكن أن يسيطر على قانون الجاذبية باختراعه الطائرات والمركبات الفضائية والصواريخ العابرة للقارات فليس عليه إذن في هذا العصر أن يجد وسيلة من الوسائل تمكنه من البقاء في الماضي مدة من الزمن . وإذا وجد هذه الوسيلة المبتكرة ، فلماذا لا يستخدمها أيضاً في الرحلة بالاتجاه المضاد للماضي ، أي المستقبل ؟!

الثلاثاء ٤/٢٦

مقهى البلدية أحاديث وكلاميات معتادة .. التقيت أحمد فياض المفرجي، خالد حبيب وسهيل سامي نادر ، وعمران القيسي ، إحتدم الجدل بين ملاحظات سهيل النقدية على معرض للفن التشكيلي وصخب قصائد عمران في (الصمت لا يتعب الموتى) ، ومشروع (الجسد والأبواب) الذي يعده خالد للطبع ، وتجليات السينما العراقية في تجربة فيلم (سعيد أفندي) ، الذي ظل سقفاً فنياً عالياً ، لم ترق إليه الأفلام العراقية الأخرى حسب رأيّ المفرجي ..

الخميس ٤/٢٨

مقهى البلدية : فوجئت بالشاعر عبد الأمير الحصيري يقف أمامي ، ويمد يده مصافحاً ، فنهضت وهو يقول : " قصيدتك صلاة خلف الرياح " محاولة شجاعة ومضى "

القصيدة نشرت اليوم في ملحق الجمهورية الأسبوعي ، وعدتها اللجنة المشرقة على مهرجان الشعر الثاني لكلية الآداب ، إحدى القصائد الفائزة فيه ومن بين مقاطعها :-

أيها العاشق في الفجر دعاءا

طف على صمتي أنيناً يتناءى

واغترب خلف مرامينا صدىً

مخملياً ينحت الشوق رجاءا

أيها العاشق نجواك لنا ..

حلم ينثالُ همساً وغناءا

ههنا ذكراي يا صفصافتي

ههنا ظلي مضى حيناً وجاءا

أينما رحت أجد ذكري ذوت

وبقايا تسبيح الانتهاءا

واسى ينشج مجنوناً فلا ..

يرجع الماضي فقد صار هباءا

أصرخي يا روح آنستي البكا

راحة تصمت شكواي استياءا

وانقري بابي حنيناً أسفاً

يهب العودة ذوْباً وفناءا

فاغربي فالحب قد مزقني

وطواني عبرات تتناءى

نقل خالد حبيب الراوي عن حميد المطبعي ، ما يشبه الرسالة ، "بــأن على قريبك الراوي أن يكف عن مراثيه التقليدية ، وأن (صلاة خلف الرياح) ، صلاة باطلة لأنه أقامها على حصيرة الماضي ، فأقصى نفسه عن الحاضــر ، .. ولعله سعى بقصيدته إلى المناجاة الحالمة وبث الشكوى الذاتية ، والاشــفاق على نفسه من فراق محتمل ، أو هجر حصل ، وهو في كل هذا أحدث ضرراً بليغاً ببداياته الأولى ، لإنه إختار (الرمل) إيقاعاً مقصوداً لدواعي المهرجــان ، وهذه قضية تحسب عليه ، .

أجبت خالد : المطبعي له رأيه وأنا أحترمه رغم تحليلاته المسرفة !

الثلاثاء ٣/٥

.. في حديث السيد النفاخ اليوم لمست اليأس والقنوط ، فلا شئ يعيــد لقلبه نضارته الأولى ، فلم يعد بوسعه إلا استعادة الصور والأخيلة والأحــلام عن أيامه الفائتة ، وحنينه المستديم لتلك النافذة البعيدة في أم الربيعيين ، وكأنه يتحدث بلسان (وليم يتلرتيش) ، فكلاهما يرى بأن الأشياء من حولهما تبــدو محطمة ، وقبيحة ، عتيقة بالية ،

صراخ طفل على جانب الطريق ، صوت عربة رثة .

خطوات غائصة في وحل الشتاء أشياء أخرى تزيد من زيف الصورة التي يتوهمها ، زهرة تتفتح في قلبك ! وكأنهما يريدان أن يقولا لنا :

" بأن قبح العالم أو قبح بعض مظاهره هو الذي يدمر مدلولات الحب والخلود "!

الشقاء ذاته ربما بطريقة مختلفة نسبياً لدى أدموند وما يتعرض له من معاناة نفسية بالغة الإيلام ، فما أن يوشك أن يطوي كتاب الحب ، حتى يعود ليقلب أوراقه مرة أخرى .

انه معذب ، حائر ، لا يقوى على مقاومة الذكرى !

يكاد أن يكون الوقوع في (الحب) أو الإصابة بمرضه هو العنوان الأثير لمرحلة الحياة الجامعية ، وهو يعدّ حتى الآن الظاهرة الأولى التي تطفو فوق سطح أيامنا الدراسية في هذه المرحلة ، وأن أياً منا وبصفة خاصة في قسم الفلسفة لم ينجُ من عدوى هذا المرض الجميل ! الذي أورث العديد من زملائنا عادة (العويل)!!

الأربعاء ٥/٤

.. إثر انتهاء محاضرة (المذاهب الفلسفية) دعاني الأستاذ مدني صالح إلى (استكان) شاي في حجرة القسم . أشاد بقصيدة المهرجان (صلاة خلف الرياح) .. وتحدثنا عن الشعر وأشار إلى كتاباته في سنوات شبابه الأولى في مجلة (شعر) البيروتية ، وإلى علاقاته مع شعراء (الموجة الجديدة) ، من بينهم ، أنسي الحاج ، فؤاد رفقة ومحمد الماغوط وأدونيس وآخرين .

الخميس ٥/٥

.. هتف عامر في حديقة الفلسفة ، بعد أن ألقى تحية الصباح .

أيها الأصدقاء طبقاً لمنطق أرسطو ، أقول لكم :

" أنا أحب كل النساء

ولكن ليس كل النساء يحببنني !

فأنشد الراوي : " .. المرأة قانون بدء الأشياء .. وسرّ الماء .

جوهرة القلب ، وأصل الكوْن .

لا شئ من قبل أو بعد ، إلاَ حب المرأة ..

فالأنثى تعني ماء العينِ ، أمناً وملاذاً ، مأوى وسيدة الدنيا ..

الخميس ٢/٦

دعاني إبراهيم زاير لتناول الشاي في حجرته الصغيرة التي يقبع فيها بمبنى الجمهورية .. وانضم إلينا سامي الزبيدي ، حاملاً إحدى قصائده تحدثنا عن " أنا شيد الفارس المهدود " قصيدتي التي نشرت في عدد اليوم من الملحق الأدبي الأسبوعي قال عنها :

" أنها جيدة " فيما كانت ملاحظته تشير إلى المقطع السادس الذي جاء جواباً مباشراً على الأسئلة المطروحة في القصيدة "

يرنو إلى الفرسان

وجوهكم أوْهى من القِدَمْ

أوْهى من الأحقاب والأزمانْ

لو شذبتْ أفكارهَا حقيقةُ الفناءْ

إذ أننا نموتْ

إذ أن أرضنا تذوب ذرة في مطلق السديمْ

فانظر إلى الفرسان :

هم زرعوا الهزيمةَ البلهاءَ في عينيكْ .

ولم تزل آثارُ مدتيك تصرخ في ظهورهم رغم تراكم السنين

نسير .. نسير ، قوافلاً يصدح في دروبها الأنين وتبعد الديار ..

كان في مدينتي مبغى ومسجد .. يومضان ، يصطرعان في الظلامْ

فتشحب الصلبان في الحوائط الضخامْ

وليس غير التيه والفرسان ينشدون

تمهلي أيتها الأميرة أنظري

مدينتي ترودها الغربان كالدخان كالأسى .

يئن في ضلوعها النهار

فأين تمضي والشراع يا غريب ؟

قِفْ !

فالحياة لعبة الأطفال في الرمال

والريح تسفيها ويمكث البقاءْ

وعندها نبع حقيقة يجف

* *

لا أعرف الحقيقة

سوى سعادة الرحيل

وسوف أفنى في ضلالها العنيدْ

كما يموت الفارس المهدود يرنو إلى الفرسان .

الثلاثاء ١٥/٦

.. يا قلبي لا تحزن

فالألَّقُ المطفأ في عينيَّ عشتار آتٍ بالنجوى

إذ عادت أمل من غيبتها الكبرى

ترنو صوب بستان السيدة العذراء

تبحث في طرقات (الازرملي) وكرادة مريم ..

مابين الآس والآه ..

عن ذكرى الكلمات الأولى

عن زمن الهمس وجذر الآه

.. أين مضى نهر الورد ؟

وبأيّ الأنحاء توارى طير (الفختي) ؟

يا أغنية الدمع وتوق الروح

وحكايات الوصل وهمس البْوح

أين مضى جسر الورد ؟!

أين أريكتنا الخضراء ؟!

الاثنين ٥/٧

تعرفت اليوم لأول مرة على (أميل زولا) عبر روايتــه : " صــفحة حب "

هو أحد أعمدة المدرسة الطبيعية في الأدب ، ومن أشــهر الــروائيين الفرنسيين في القرن التاسع عشر .

أما الرواية ، فتتبئ الصفحات العشرون الأولى منها ، إلــى أســلوب زولا الدقيق في التحليل ومهارته العجيبة في بنــاء موضــوع الروايــة وفــي تــصوير شخصياتها ، موهبة خارقة في تحليل مسائل قد تبدو للوهلة الأولى في منتهى البساطة والهامشية مما نراها كل يوم بأعيننا ، ولكنه يجعلها بفنــه الإبــداعي المثير تتكشف أمامنا لأول مرة .

.. نصحني خالد حبيب عند الانتهاء من هذه الرواية ، أن أبحث عــن درره القصصية الأخرى ، ومنها " تريزا " و " غانية باريس " .

* *

الأربعاء ٧/٧

في سنوات الصيف الفائتة بدأت أتردد بين يوم وآخر علـــى (ســـوق الشورجة)، إلى جوار أبي في (الخان) . ما بين الـــضحى والعـــصر ، ثـــم نؤوب معاً إلى الأعظمية .

.. فيما ينفتح الوقت بعد ذلك حراً على مقهى العروبـــة ، المنـــصور ، الكرخ ، السينما .. ويبقى زمن آخرة الليل للقراءة ، أو تزجية الوقت بمـــشاهدة برامج (التلفزيون) التي لم تعد تغني أو تشبع من جوع !

الأربعاء ٢٨/٧

.. أثناء تناولنا لطعام الغذاء في (الخان) ، فاتحت أبي برغبتي فـــي قضاء العطلة الصيفية في القاهرة .

فرد على بأن أتريث الآن ، لحين إنهاء دراستي الجامعية والتي لم يبق عليها سوى عام واحد ، وعندها يمكنني السفر متى شئت ولأي مكان .

لكن أبي سرعان ما عدل عن رأيه ، وعاد في المساء يحـــدثني عـــن إجراءات السفر ، ومقدار المبلغ الذي يكفيني في رحلتي إلى مصر .

رحلة الصيف

الأربعاء ١٩٦٦/٨/٤

ساحة جمال عبد الناصر – الصالحية : نقليات العزاوي .

في ظهيرة قائضة وحر يشوي الوجوه والأجساد لم يحل الطقس الملتهب في مثل هذا الوقت في بغداد ، من تواجد الأصدقاء وحضور الأهل قبيل الموعد المحدد للسفر ، وقبيل أن أرتقي الحافلة سلمت مودعاً فالح وعامر وأدموند والخال فانيا وأخي سعد وخالد حبيب الراوي ، في الحادية عشر مساءً، وصلنا نقطة الحدود العراقية – الأردنية (الرطبة) . بعد رحلة شاقة وطويلة كان فيها الزحام شديداً ، والساحة (الكمركية) مكتظة بالمسافرين والحافلات والعربات الصغيرة . المسافرون ينتظمون في طوابير طويلة أمام مكاتب الجوازات . وفي الثانية عشرة مساءً انطلقت بنا الحافلة مجدداً ..

دمشق

الخميس ٨/٥

.. هي ذي دمشق التي طالما تاقت نفسي إليها في سنوات الصعود القومي المفعم بحرارة الوقائع والأحداث التي شهدتها الأمة العربية ، تحت قيادة جمال عبد الناصر منذ إعلان الوحدة وقيام الجمهورية العربية المتحدة في ١٩٥٨/٢/٢٢ .

.. عقب أربع وعشرين ساعة من مشاق السفر وطول المسافة ، وأوصاب الطريق أنزلتنا الحافلة في (المرجا) .

في مقهى جانبي يطل على الساحة التقيت سـمير الـصراف ، الـذي نصحني النزول في فندق (التاج الملوكي) ، بوصفه مكاناً نظيفـاً ومريحـاً ، وسعره مناسباً ، ويقع في وسط المدينة وعلى بعد خطوات من ساحة المرجـا ..

.. ألفيته رحباً ووسيعاً ، وذا طراز شرقي تنفتح حجراتـه العـشرون على فناء ذي مساحة كبيرة تتوسطه نافورة مياه ، من حولها أرائك ومناضـد تظللها أشجار سرّو باسقة .

ولجتُ حجرة رقم (٨)، مساحتها حـوالي (٢٠ م٢) عـشرون متـراً مربعاً ، في زاويتها اليسرى سرير من خشب الجـوز وإلـى جـواره دولاب صغير ، تمددت على السرير في محاولة للاسترخاء والراحة من عناء السفر .

.. في السادسة أخذت حماماً ، واستبدلت ملابسي ، .. واخترت مطعماً قريباً اجتذبتني إليه رائحة الشواء .

دمشق

الجمعة ٨/٦

طلع الصباح وضيئاً ، جميلاً ..

الخطوة الأولى ، التجوال في ساحة المرجا ، سوق الحميدية ، والجامع الأموي، ومقام السيدة زينب .. الزحمة قائمة في جهـات المكـان الأربـع : الألوان ، المعروضات ، الأصوات ، الوجوه ، النقـود ، العربـات ، الباعـة

الجائلون ، السوق السوداء ، الأطعمة الحلويات ، الأقمشة ، الحرير ، الأقطان، الفاكهة ، طازجة ، مجففة ، ..

.. في الظهيرة صدحت المآذن والقباب الدمشقية للصلاة ، إنه يوم الجمعة ، هرع أصحاب الحوانيت ورواد المقاهي ، وانسدلت الستائر في السوق الكبير ، لا بيع ولا شراء .

احتشد الناس الآتون من كل حدب وصوب ، تزاحموا على أبواب المساجد . خشية أن تفوتهم الخطبة أو يتأخرون عن أداء فرض صلاة الجمعة .

.. تناولت طعام الغذاء على عجل في مطعم (الأمل) واحتسيت الشاي في مقهى شعبي يرتاده الباعة والسواق وذوو المشاوير العاجلة .

.. حان الوقت لزيارة العم أمين في منتجع (الزبداني) ، جلست جوار السائق في حافلة صغيرة ، وما إنْ علم الرجل باني ازور الشام لأول مرة ، حتى انفجر بالحديث ؟!

كما لو كان ينتظر طريدة مثلي ليملأ رأسي بثرثرة لا معنى لها ، سوى أن يقطع مسافة الطريق متلهياً بحديث مكرر جاف وممّل .

.. استقبلني العم وأسرته بالأحضان مهللاً ومرحباً .

.. وما أن استرحت قليلاً ، حتى بادرني بأن من يأتي إلى الزبداني ، حريّ به أن يجعل من زيارته مناسبة للطواف في نواحيها وأطرافها ، ولذلك اقترح عليَ القيام بجولة حرة في المنطقة والتمتع بزيارة المصايف المجاورة .

.. وفي الطريق إلى (بقين) و (بلودان) كان العـم يحـدثني عـن روعة هذه المنتجعات وطيبة أهلها وعذوبة مائها وهوائهـا ، وعـن ثمارهـا الوفيرة .

.. وكان على حق في كل ما قاله عن الماء والهواء والثمرات ، فقـد سحرتني بلودان بإطلالتها الباذخة ، الهضاب المكتظة بالتين والسرو والزيتون وبالعيون الجارية ، والمقاصف والمقاهي المتنـاثرة باتـساق أخـاذ والنـاس مستبشرون ، بما منحتهم الطبيعة من جماليات المكان وروعة الألـوان ممـا لا تحصى مشاهدها والتي تنشرح لبهجتها الصدور وكأنهم فـي فـرح مقـيم وجنات نعيم .

.. في التاسعة مساءً ، استحالت النسيمات العذبة ، إلى ريـح بـاردة " وتحاملت على نفسي في البداية " وبعد حين تململت ، بعـد أن شـعرت بـان لسعات الطقس لم يعد بمقدوري مقاومتها ، فاستأذنت العم أن أعود إلى الفنـدق . ،

صحبني ومعنا مخلص وغنية ، وأنزلني في (المرجا) وودعته ، بعد أن أخبرته بأنني سأسافر غداً إلى بيروت وسوف أعود في مساء نفـس اليـوم استعداداً لرحلة القاهرة التي ستبدأ بعد يوم غد .

بيروت السبت ٨/٧

يا لها من غادة ، فائقة الحسن ، فاتنة الجمال .

حملتني الأشواق إلى البحر والجبل ، وأنا أسعى إلى معرفة أسرار الغنى والخصوبة في تراث وشعر وأساطير هذه المدينة المتمردة على الوعي الزائف ، المدينة العربية المفعمة بأشواق الحرية ، وظاهراتها المبدعة :

جبران ، فيروز جارة القمر ، غادة السمان ، ليلى بعلبكي ، ميخائيل نعيمة

الاستقامة العقلية ، المساواة الإنسانية ، المرأة ليست بضاعة ، وليس محض جسد مثير للشهوات ؟

إنها النصف الآخر الذي تتكامل بحضوره الحقيقة الإنسانية ..

الحرية ولا شئ قبلها أو يليها في المجد والمقام .

بيروت ، الكلمة . الكتاب ، إحدى أعظم عواصم الثقافة العربية المعاصرة .

.. وفي هذه المدينة الرائعة التي طفت في مكتباتها الزاخرة بالنفائس والذخائر وعيون الكتب ، هي ذاتها مدينة التجارة والسياحة تمتد طرقاتها وتتصل بين فقراء (الشياح) وسوق (سرسق) وأثرياء (الحمراء) و(الكورنيش) و (المزرعة) و(انطلياس) ، وعلى نفس الخط تتجاور الوطنية والأممية في الأزياء والريادة، والموضات ، والعادات والتقاليد ،

.. وبإرادتي الحرة ، انحدرت إلى قاع المدينة ، أبحث عن الجزء المثير منها؟

فـ (البرج) احتل ذاكرة شعراء مقهى البلديـة ممـن طـافوا يومـاً بالمكان أو سمعوا شيئاً عن سحره الأنثوي .. أو قرأوا قصيدة القبـاني التـي أضاءت الساحة وما حولها ، فعرفوا الكثير عن نـزيلات المكـان مـن ذوات القدود والخدود . ووجدت أن الأمر يستحق المغامرة

لم تخطئ عيني امرأة بدينة بيضاء تسترخي على كرسـي (هـزاز) يقاوم وجهها الزمن وهموم السوق ، تدخن (النارجلية) بغنج ، اقتربـت منهـا محيّياً ، ابتسمت بخبث ، وغمزت بعينها مرحبة ، دعتني إلى الدخول

تباطئت متردداً

قالت متسائلة : " شوبيك " – ماذا بك " ؟

كلمة تحمل أسئلة كثيرة .

إنها تعرض نفسها بلغة مباشرة

" عليك فقط أن تقترب من المرأة الخبيرة ، القادرة على صنع المتعـة بإتقان شديد ، ومهارة نادرة "

واصلت الطريق الذي بدا بلا نهاية ، مفتوحاً على سـوق الغـواني ، محدقاً بالأسماء الملّونة مأخوذاً بالوجوه والأجساد ، تعقد الدهشة لـساني عـن البوح والكلام .

.. عند الغروب وقفت قدام البحـر متـأملاً – الحريـة ، والمـديات المترامية الطليقة ، اللامكان ، ما وراء الدنيا ، إنها المرة الأولـى التـي أرى

فيها (بحراً) مشعاً بالضوء الفيروزي وبألوان الـشمس الراحلـة وراء الأفـق اللامتناهي .. ودعت بيروت بعد أن ألقيت عليها السلام عائداً إلى الشام .

بعد إجتيازنا نقطة (المصنع) الحدودية ، .. فوجئنا بدورية (جمارك) سورية ، تأمر السائق بالتوقف وجرى تفتيش الأمتعة بطريقة بدائية إذ طلب مني رئيس الدورية جواز سفري ، ظننت في البدء إنه يريد تـدقيق هـويتي ، ولكنه كتب العبارة الآتية :" حامل الجواز يحمـل معـه عـشرة أزواج مـن الجواريب الرجالية ، نرجو التأكد من وجودها بحوزة المذكور عند مغادرتـه البلاد " ؟

.. راعتني وصدمتني تلك الكلمات السخيفة على جواز سفري .

وتساءلت بأي حق وتحت أي تـشريع أو قـانون تتخـذ مثـل هـذه الإجراءات السخيفة كما لو أنني احمل ممنوعات يعاقب عليها القانون ؟

.. وقد حاول السائق التهوين من غلاظة رجال الجمارك ؟ وزعم بأن (الليرات) تفتح (الجهات) ، هكذا أو ما يشبه هذه العبارة .. بمعنى أنـه أقـدم على التفتيش ، وكتب ما كتب لأنك لم تحرك يدك .. أيّ لم تعطه (حـلاوة) ؟! ..وذهلت من حديث السائق ، وهو يؤكد من جهته وعلى حد قوله ، بأن هـذه الأمور من بديهيات عالم الحدود ؟!!

وتساءلت بيني وبين نفسي متي كان إمتهان القانون يعـد مكافـأة ، و (الرشوة) تصير (حلاوة) بفعل الكيمياء السحرية ، ولعل أول من اكتشف حجر الفلاسفة هم حراس الحدود .؟!!

القاهرة

الأحد ٨/٨

مصر الحلم التي أيقظت عقلي ، وسكنت قلبي عشقاً جلـيلاً مـستديماً يسري في دمي وتفيض به روحي ، تداعيات متتالية تثب إلى الـذاكرة ، منـذ أيام الطفولة في أوائل الخمسينيات، وسنوات الابتدائية حـين تعرفـت علـى مصر لأول مرة عام ١٩٥٠عبر قـصص الكيلانـي، ومجلـة (الـسندباد) المصرية الأسبوعية التي كانت تعنى بأدب الأطفال

.. مروراً بالأيام المجيدة لمعركة تـأميم قنـاة الـسويس ، والقيـادة المناضلة للرئيس جمال عبد الناصر ، الذي أصبح رمزاً وعنواناً للحرية بعـد أن أسهمت مواقفه الوطنية الشجاعة في إذكاء الوعي القومي في عموم أقطـار الوطن العربي ،

.. ثم قيام الجمهورية العربية المتحدة ، عبر أول تجربة وحدوية فـي تأريخ العرب الحديث .

.. واستذكرت أيام ١٩٥٩ وما تعرضت له من المطـاردة والاعتقـال إثر إنتفاضة عبد الوهاب الشواف في الموصل .. واضطراري إلـى مغـادرة بغداد وفراري منها إلى قرية (راوة) لمدة سنتين ، جـراء مـوقفي القـومي ومناصرتي للعربية المتحدة وعبد الناصر .

.. وظلت مصر حلماً معلقاً في الأفق الأعلـى مـن الـروح والـذي عاودني مرة أخرى . ففي عام ١٩٦٣ تم قبولي في جامعـة القـاهرة بكليـة

الحقوق ، فيما جرى اعتقالي أثناء مراجعتي لإصدار جواز السفر مما حال دون تحقيق حلمي ورغبتي بعد احتجازي وتقييد حريتي .

.. والآن وعقب مرور كل هذه السنوات صار الحلم حقيقة وأنا انزل سلم الطائرة

في مطار القاهرة ، الغبطة تملأ روحي ، وأنا أعانق المدينة التي بقيت لسنوات طويلة محض حلم بعيد المنال ، .. ترى من أين أبدأ الرحلة الجوانية لأصل إلى قلب مصر أمن أوراق الرافعي ، المنفلوطي ، جرجي زيدان ، طه حسين، العقاد ، روايات الهلال ، ذخائر العرب ، أم من وقائع السويس ، وأيام بور سعيد الخالدة ؟ أم من النيل الذي أصبح في عام ١٩٥٦ ، مقبرة للغزاة ؟! .. أم من الأهرام الثلاثة وأبي الهول ؟!

أم من المسرح وليالي أم كلثوم وأناشيد عبد الحليم حافظ ؟!

أم من كلاسيكيات السينما التليدة . يوسف وهبي ، القصري ، سراج منير ، أنور وجدي ، مديحة يسري ؟

.. لم تستغرق إجراءات الجمارك والجوازات وقتاً طويلاً ، وجدت بانتظاري قيس خزعل العزاوي ، الذي اصطحبني من المطار إلى شقته في ٦ شارع الديوان بجاردن سيتي . حيث أمضينا الليل برفقة احمد عبد الحليم اللاوند الذي يشارك قيس في السكن ويدرس الطب بجامعة القاهرة .. وقد تناولنا عشاء احتفالياً في مطعم (أبي شقرا) في شارع (القصر العيني) ، وهو على بعد خطوات من محل إقامتنا.

القاهرة – الاثنين ٨/٩

تسللت في الساعة الثامنة صباحاً . وألقيت نفسي خارج الشقة فيما كان قيس وأحمد يغطان في نومهما .. أحاول معانقة صباح القاهرة ، والتعرف على المكان .. أكاد أشم عبق مصر تلك الرائحة الأخاذة المنبثة من أوراق مجلة السندباد ، التي كانت تمتلئ بها حنايا روحي ، فتزيدني حباً وتوقاً إلى مصر ..

أقف هنا قدام مستشفى القصر العيني .. وأخطو هناك عند الكورنيش ، أستقبل النسيمات العذاب الآتية من نهر النيل .. وأجوس طرقات المنيرة الشعبية .. وبعد حين أجد نفسي ماشياً بين حشد من الناس في سوق المنيل .. وأعود في الحادية عشرة وأدق الباب مرة ، ومرة ، دونما جدوى فأجدها فرصة سانحة أخرى لمعاودة الطواف في طرقات وشوارع جاردن سيتي .. وأعود مرة فأدق الباب ، دقة واحدة فيأتيني صوت قيس ملبياً .

.. معاً نحن الثلاثة قيس ، أحمد ، وأنا إلى شارع سليمان باشا ، لتناول الغذاء في مطعم (زينة) .

.. سألني قيس : من أين نبدأ ؟

فأجبته : من (التأريخ) ؟! أي : من المتحف

تمشينا إلى ميدان التحرير ، ولجت المتحف المصري من بابه الفسيحة ، المشهد مبهر : اللقى ، التماثيل ، النصب . المسلات . وتلك اللمسة الماهرة

الحانية التي تدل على حرفية عميقة في التكوين والإنشاء في الأعمال النحتيـة العملاقة التي تتوزع في باحات الطابق الأول على مساحة وسيعة .

الشئ الأكثر أهمية والذي كنت أمنّـي الـنفس أن أراه يومـاً هـو (المومياء) ، التي يستقر عدد منها في صناديق زجاجية محكمة الغلـق ، فـي قاعة مستقلة في الطابق الأعلى .

.. ليس بوسع الزائر وهو أمام موميـاء (أميـرة فرعونيـة) إلا أن يصاب بالدهشة ، امرأة مستلقية على ظهرها ، .. تبدو كما لو كانت حية ، لـم يصبها الموت بعد ، وجه بهيّ ، عينان ساحرتان ، الفم ، الرقبـة ، اليـدان ، الأطراف ، بحالة سليمة . لم تعرف البلى رغم تقادم العصور والأزمان .

الألوان النباتية النضرة تحتفظ بألّقها وحرارتها ، ترى أي نمـط مـن الأسرار تلك التي أودعها الفراعنة في هذه الصنعة العجيبة التي تجعـل مـن التحنيط فناً

وعلماً ، شديد الإتقان ، إلى الحد الذي يكاد يتطابق فيـه المـوت مـع الحياة ؟

.. وهكذا بدأت الرحلة من (التأريخ) أولاً قبل التعرف على جغرافيـة المكان ، فالتأريخ هو مفتاح معرفة حقيقه الإنسان والدليل إلى طبيعـة الأرض .. فالعراقة التأريخية أحدى أبرز عناصر الحضارة المصرية بما أنجزته مـن قيمّ ثقافية وإنسانية . والثراء الروحي الذي يكاد يكون فريداً في طـرازه مـن عقائد وطقوس تتعلق بوجود الإنسان على الأرض وأيضاً برحلته الأبدية إلـى العالم الآخر .

القاهرة الثلاثاء ٨/١٠

سحر المكان ، عبق العراقة ، والجذور العميقة للحياة . تجدها حاضرة في أحياء مصر القديمة ، البساطة ، التلقائية ، الشهامة ، السخاء ، الجدعنـــة ، والمرح البطولي في مواجهة المحن والأرزاء ، لذلك آثرت أن أبــدأ تطـــوافي طوال نهار هذا اليوم في تلك الأحياء الأصيلة ، فتناولت وجبة من (الكـــشري) في العتبة ، واحتسيت عصير القصب في باب الخلق ، وولجت خـــان الـــشيخ خربوش في الدرب الأحمر باحثاً عن الكتب التراثية وعن طبعاتهـــا الحجريـــة الأولى .

وشققت طريقي وسط زحمة أسواق الموسكي والغورية ، معروضـــات لا حصر لها من الأقطان والمفروشات ، والألبسة والستائر .. فيما كان خـــان الخليلي مهرجاناً نوعياً من النحاسيات والجلود والمشغولات الفضية والذهبية ، على وفق الطراز الفرعوني ..

.. ودخلت مكتبة (صبيح) العريقة ، وتجولنا بـــين أروقـــة الجـــامع الأزهر ذي التراث التليد الذي تجاوز عمره الألف عام ،

.. انتبذت ركناً شرقياً في مقهى الفيشاوي تناولنـــا الـــشاي بالنعنـــاع ، أرحتُ جسدي المتعب على تخت من خشب الجوز العتيق ،

.. وتعد (الفيشاوي) التي سمعنا عنها كثيراً أشهر مقـــاهي القـــاهرة وكانت عند قيام الحرب العالمية الثانية المخبأ الجماعي لمحبي السهر وعـــشاق الليل ،

يقول محمد عبد الواحد في كتابه طرائق الكلام ،

" .. فلم تكن تجد في القاهرة كلها مقهى ساهراً طوال الليل في ليـــالي الغارات والحروب إلا مقهى الفيشاوي هناك وفي رحاب مسجد سيدنا الحـــسين كان الرواد وكأنهم في عالم آخر لا حـــرب فيـــه ، أنهـــم يغلقـــون الأبـــواب ويمارسون لعبة (الدومينو) وشرب الشاي الأخضر دون أي إحـــساس بـــالقلق الذي كانت تثيره الغارات في كل مكان "

.. عمره الآن يقترب من مائتي ســـنة ، وتبـــدو القـــصص والوقـــائع الخاصة به هامة ومثيرة ، فقد ارتاده عبر تلـــك الـــسنوات ملـــوك ورؤســـاء وزعماء من بينهم – أوجيني – إمبراطورة فرنسا ، التي زارت خديوي مصر للاحتفال بافتتاح قناة السويس ، وهو المكان المفضل لسنوات طويلة لأهل الفن والفكر والأدب.

كما لا تنتهي الوقائع والروايات المحيطة بحياة أشهر أصحابه الحـــاج (مصطفى الفيشاوي) الذي مات هو و(حصانه) متأثرين بقرار إزالة ثلـــث المقهى في منتصف الستينات .

.. أشار بعض الرحالة والمستشرقين إلى أن مقهى (البسفور) القـــديم ، الذي تغير اسمه فقط دون مكانه إلى (الفيشاوي) ، كان قائماً زمن الحملـــة الفرنسية، وأنه توجد لوحات زيتية ظهرت في كتاب (وصف مـــصر) الـــذي أعده علماء الحملة عن البلاد وأن (نابليون بونابرت) زاره واحتسى مشروب (الحلبة) ، وأبدى إعجابه بنكهته . أما البداية الوثائقية لعمر المقهى ونـــشاطه فهي عام ١٧٧٢ ميلادية وقت ولاية السلطان (محمد أبـــو الـــدهب) وكـــان

يعرف باسم (البسفور) وهو اسم تركي أطلقه المعلم الفيـشاوي (الكبيـر ؟) على مساحة لا تتجاوز (٦٠) مترا مربعا اختيرت بعناية في أبرز موقع وسـط القاهرة القديمة بجوار مسجديّ الحسين والأزهر . وفيما بين بوابتي (الفتوح) و (المتولي) . وهو موقع كان مقصدا لطلاب العلم وأهله، ومعروفا بحيويتـه التي أصبحت ضجيجا وازدحاما اليوم

وأهم ما يميز مقهى الفيشاوي أثاثها ومراياها العريقة التي تستند إلـى جدرانها المزينة بقطع الأرابيسك واللوحات والرسومات التاريخية . إضافة إلى مجموعة القناديل الزيتية الموجودة إلى الآن .

.. يبدو المقهى من بقايا عصر قديم ، أوان خزفية كثيرة مصنوعة في تركيا وبلدان أواسط أسيا ، وسيوف في أغمادها الذهبيـة ، متراصـة علـى جدران المدخل ، وقوارير عطور نادرة من زجاج ملون ، وسجاد صغير مـن حرير .

ومن أبرز مقتنياته دولاب صغير معلقا على الجـدار تتخللـه زوايـا صغيرة من العاج وارفف من الخشب مصنوعة من شجر ذي رائحة زكيـة لا تنفد .

وثمة أوان نحاسية منقوشة بالزخارف الدقيقة .

أما المرايا فهي ترجع إلى سنة ١٩٠٠ ذات اطر ذهبية محلاة أطرافها بزخارف فنية بالغة الروعة .

.. ومنذ أوائل القرن الماضي اكتسب المقهى شهرة كمجلـس مفـضل للمثقفين والفنانين جمال الدين الأفغاني ، عمر مكرم ، عبـد الله النـديم ، وإن

نجيب محفوظ هو اشهر رواده من المثقفين المعاصرين إلى درجة أن أصحابه أطلقوا اسمه على حجرة الأرابيسك التي تقع في أحد أركانه .

.. ألهتني المشاهد الباذخة عن قراءة مجلة (صباح الخير) ، عاشقان يتهامسان، يتجاوران ، وامرأة بهية الوجه تتطلع إلى ساعتها تنتظر الآتي لعلها منشغلة بموعد أزف وقته أو انقضى ، رجل هرم يتصفح جريدة يومية وبين الحين والحين ، ينسلّ النادل يعدو مسرعاً جيئة وذهاباً ، وآخر يحمل قوارير الشاي ، والقرويّ يخرج من جيب (الجلباب) الجواني حافظة نقود بحجم كتاب ، قارئ قرآن أعمى يتلو آيات الصدقة .. أبعده النادل عن باب المقهى ، ورواد المقهى خليط من الناس متنوع الجنسيات ، فالى جانب المصريين والعرب يتوافد عليها السياح الأجانب ممن سمعوا أو قرأوا عن الفيشاوي ، باعتبارها واحدة من أقدم المقاهي في عاصمة المعز ، وأن من طقوس زيارة القاهرة لابد أن تكون الأحياء القديمة والحارات الشعبية والأمكنة التراثية ، ومنها هذه المقهى.

.. أمضيت (العصرية) في الفيشاوى ، ثم مضيتُ صوب (الدرّاسة) ، أبحث عن رائحة التأريخ وعبق الآثار الأولى .

القاهرة

الأربعاء ٨/١١

الأهرام ، واحدة من عجائب الدنيا القديمة السبع فإلى جوار جنائن بابل المعلقة، منارة الإسكندرية ، تمثال رودس ، ضريح هاليكارناوس ، معبد ديانا،

تمثال زيوس ، يقف الهرم الأكبر شامخاً شاهداً منذ أن شيدّه خوفو عام ٢٧٠٠ قبل الميلاد . ويعد اكبر الأهرام إطلاقا ، يشغل مساحة ١٢ فـداناً وارتفاعــه الحالي (١٣٧,١٨) متراً ، وكان في الأصل ١٤٦,٥ .

استخدم في بنائه (٢٥٢١٠٠٠) متر مكعب من الحجــر الجيــري ، وكانت له كسوة خارجية من الحجر . ويحتوي في الداخل على عدة ممــرات وحجرتين للدفن ، إحداهما للملك والأخرى للملكة وقد ارتقيت سلماً مــصنوعا من الخشب يفضي إلى حجرة الملك العلوية ..

.. ما بين الدهشة والهيبة حاولت الصعود إلا أنني أخفقت بعد حــين ، بسبب خوفي من الأماكن المرتفعة ، فآثرت السلامة .

تقف الأهرام الثلاثة (خوفو ، خفرع ، منقرع) على خط واحد علــى نسق متدرج .

.. أما (أبو الهول) ، فهو تمثال ضخم نحت في تل صــخري طولــه سبعون مترا، وارتفاعه عشرون مترا ، برأس بشري وجسد أسد ، وهو يرمز إلى أعلى الهرم (حامي المقبرة) وإلى الشرق منه معبــد كبيــر تقــدم فيــه القرابين للمعبود وكلاهما من عصر خفرع (الأسرة الرابعــة) وقــد عبــده مصريو الأسرة الثامنة عشرة كرمز للشمس ، وأسموه (حــورس) صــاحب الأفق .

.. يتواجد على سطح هضبة الأهرام عشرات المئات من السياح جاءوا من بقاع شتى يتحدثون بكل ألسنة الأرض حتى لتحسب نفسك حاضــراً فــي محفل كوني ..

لا شئ يضاهي فرادة وعظمة الأهرام ، وقد أعدت على نفسي الأسئلة الحائرة التي ترددت عبر الأجيال ، كيف ومتى جرى نقل كل هذا الكـم مـن الكتل الصخرية الهائلة الحجم ؟ وكيف تم إيصالها أو رصفها فوق الهـضبة .. وبأي عقل هندسي شيدت هذه النصب العملاقة وعلى هذا النحو المبهر ؟

.. وقد سبق أن قرأت العديد من الكتب عن عمارة الأهـرام ، وعـن الألغاز الكونية التي لم يكشف عن الكثير منها حتى الآن ، إلا عـن جزيئـات صغيرة محدودة ، فيما بقي الكثير من أسرارها غامضاً حتى اليوم !

.. ولعل (رمزية) الأهرام تومئ في الاعتبـار الأول إلـى عظمـة مصر وخلودها أكثر بكثير من محاولة تخليد الملك خوفو .

.. من طقوس زيارة الأهرام . اقتناء تذكار فرعوني ، وركوب الخيل والتقاط الصور ، وقد فعلت ذلكذ .